نافذة جديدة
حركة «فتح»
والإسلام والعلمانية!

بكر أبوبكر

حركة فتح والاسلام والعلمانية

المؤلف: بكر أبو بكر

الطبعة الاولى 2016

دار الامين للنشر والتوزيع

رام الله – فلسطين

وطنية +970568549769

جوال +970599649769

تصميم الغلاف: رامي قبج

المقدمة

في هذه الورقة نحاول أن نتصدى بعلمية وعقلانية -ما وفقنا الله عز وجل- للهجمة الشرسة التي يشنها البعض كلما اختلف مع حركة فتح من التيارات الفلسطينية المناوئة تحديدا ملقين عليها أو على قيادتها اللوم أو التشنيع أو الطعن ليس في الموقف السياسي فقط الذي يحتمل الصواب والخطأ، ويتقبل الخلاف، وإنما يتعدون ذلك -في خطاب هؤلاء- للاتهام في وطنية الأشخاص، ثم في الحركة عامة، كما يشار بنفس الخطاب المسرف للاتهام بأن حركة فتح حركة بعيدة عن حضارة أو دين الأمة، أو دين الشعب الرئيس ضمن عقلية «المفاصلة»بين الحركة والدين والاستعلاء عليها، أو»الاتهام» بالكثير الذي منه الطعن بالقيم والأخلاق للشخص أو الحركة عامة.

لذا سنتعرض منذ البداية لمفهوم الإسلام الرحب والتعددي، نلحقه بالتعرض لفكر حركة فتح والإسلام، ثم نعرج على مفاهيم العلمانية، وأيضا حركة فتح وسياستها ومواقفها.

أولا: حركة "فتح" والإسلام

حركة فتح والكون، حركة فتح والسماء، حركة فتح والمحيط، حركة فتح والشمس، كلام كبير[1]... ولكن لا يستقيم كثيرا، إذ لا مقارنة عادلة هنا إطلاقا فالجزء لا يقارن بالكل، فهو فيه أو منه شاء أم أبى، وعى أم لم يعي.

الرسالة والوعاء

إن الرسالة الاسلامية رسالة عالمية، وليست رسالة البشر فقط، أو رسالة المسلمين اليوم فقط،

1- يقول خالد الحسن في كتابه (يوميات حمار وطني) الصادر عام 1984 بالكويت ص 114 (الكلام الكبير بما لا يتفق مع القدرة الذاتية وإمكانية التنفيذ أشبه بمن يقبض على الريح، أو بمن يتعاطى الحشيش فيخدر نفسه وينام وهو يتصور أنه يفعل الأعاجيب)

هي رسالة موجهة الى الإنس والجن منذ الخليقة، بل هي رسالة الكون كلّه،[2] فكل الكائنات بما فيها الإنس والجن تسبح بحمده، وإن من شيء إلا يسبح بحمده {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} (الإسراء44)، ونحن كبشر عامة جزء من هذا الناموس وهذا الكون ونحن نعيش تحت هذه السماء وتحت هذا المحيط وفي الكون الشاسع. مهما بلغنا من المعرفة والعلم فلن نحيط بعلم الله، ولا باتساع الاسلام ولا رحابته (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا) (الاسراء109)

2- عندما يضع الشيخ عبدالرحمان الكواكبي (1855-1902) قوانين الترقي كما يراها يذكر في سادسا أن الإنسانية تمثل منتهى الترقي، ويضيف مشددا على نوع آخر من الترقي هو الترقي بالروح والكمال. (طبائع الاستبداد ص 142)

لماذا لن نحيط بكل ذلك؟ لأننا نمتلك عقولا ونمتلك أفهاما ونمتلك آراء هي بطبيعة الخلق مختلفة، ومتعددة، ولن تكون متطابقة، ومنها في فهم كُنه الاسلام.

لذا لا يستطيع وعاء أي وعاء مهما كان حجمه أو سعته أن يستوعب ما هو أكبر منه وأضخم، أو أن ينهل منه بحيث يطوق عليه كلّه، فنحن لا نستطيع وضع المحيط في وعاء ولا نستطيع وضع الشمس في إناء، فما بالك أن نضع الأرض أو الكون في إناء صنعناه نحن بعقولنا وأفهامنا.

العلاقة هنا هي إلا علاقة قطرة ضمن سحابة، او قطرة ضمن محيط كما هو الحال ان عقدنا المقارنة – التي لا تصح – بين الاسلام وأي مؤسسة أو تنظيم، فكيف بنا نقول (الاخوان المسلمين) والإسلام، أو الجبهة الشعبية والإسلام أو حركة فتح والإسلام؟ فأين هذا الوعاء الصغير

–مهما ادعى الاحاطة–من ذاك الفضاء الشاسع ؟ وكيف نعقد مثل هذه المقارنات لنحكم على جماعات بشرية أو أفراد من خلال وعائنا (الحزبي) بأنها تساوي أو تمثل الاسلام وننفيه عن غيرها؟ وما الناس إلا دعاة لله لا قضاة يفتشون في قلوب وعقول الآخرين (كما قال حسن الهضيبي)

الوعاء لا يقدرعلى الاستيعاب أو التعبير لوحده عن مضمون ما هو أكبر بشكل كلي ومكتمل ومطلق لتعدد الأفهام وتنوع العقول وهذا يجعل من فكرة (الحصرية) بالإسلام أو فهم الاسلام مرتبطاً بأي وعاء يمثل كلاماً بلا معنى وان كان له معنى فإنه يعبر عن معنى واحد وفهم واحد هو فهم ومعنى وفكر هذا الوعاء الذي ليس بالضرورة هو فهم المسلمين أو مجتهدي المسلمين على رحمة اختلافهم.

كيف نفهم الإسلام؟

يفهم المسلمون الاسلام من خلال ما حث عليه القرآن الكريم بأدوات التفكير الواردة نصا في آيات عديدة في القرآن الكريم من (التفكر) و (التدبر) و (النظر) و (العقل) وبأساليب (البينة) و(البرهان). يقول د.محمد عمارة عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر (إن الإسلام هو الذي حفز على النظر والتعقل والتفكر والتدبر في كل أنحاء الخلق والملكوت، بما في ذلك الواقع والتجريب فيه)

لا يسقط العلم من عند الله كما تقول المتصوفة بالعلم اللدنّي، وإنما يأتي بالتعلم والتفكير والتأمل، وان كان الإيمان (ما وقر في القلب وصدّقة العمل) فإنه استناداً للرسالة (الإسلامية) يصبح استخدام أداوت العقل مهمة مطلوبة فلا تتشبع الأذهان بفاسد المنقول على

افتراض أنه الصحيح دون تمحيص علمي، وانه يتم (تلقيه) كما جاء دون اعتبار لمتغيرات الحال واختلاف مدارس الاجتهاد والأفهام.

فهم المسلمون الإسلام بطرق متعددة وأساليب مختلفة بعد مسار فكري طويل وصعب، أصبحوا متفقين على أصول وعقائد وأركان، تميزهم عن غيرهم من الأديان كما اختلفوا في الاجتهاد والفروع حتى اليوم ما هو رحمة لا تتيح لأحد (أكان مجتهدا أو تنظيما إسلامويا أو مؤسسة ما) إدعاء المعرفة المطلقة التي لا نظير لها، ما يستتبع أن مخالفتها هي مخالفة الاسلام.

المغزى هنا أن اتساع الإسلام بحجم الكون أو المحيط او النهر يمكن للكل منهم أن يغرف غرفة واحدة منه فلا يظمأ أبداً (تأمل في مثال أبو يزيد البساطي عن الرسول في هذا الشأن)[3]

3- سؤل جلال الدين الرومي من هو الأعظم برأيك: «النبي محمد أم الصوفي أبو يزيد البسطامي؟“ فقلت: ما هذا السؤال؟ كيف يمكنك أن تقارن بين نبينا العظيم عليه

ويسمح للآخرين أن يغرقوا فيذوقون طعماً آخر.

الصلاة والسلام، خاتم النبيين والمرسلين، وبين صوفي؟ قال: ألم يقل النبي: يا رب اغفر لي عجزي عن معرفتك حق المعرفة، في حين قال البسطامي: طوبى لي، فأنا أحمل حب الله ومعرفته داخل عباءتي؟ ثم قلت: حب الله محيط لا نهاية له، ويحاول البشر أن ينهلوا منه أكبر قدر من الماء. لكن في نهاية المطاف، يعتمد مقدار الماء الذي يحصل عليه كل منا على حجم الكوب الذي يستخدمه. ففي حين يوجد لدى البعض براميل، ولدى البعض دلاء، فإن لدى البعض طاسات فقط.'' ''كان وعاء البسطامي صغيرا بعض الشيء، وقد روى عطشه بعد أن نهل جرعة، وكان سعيدا بالمرحلة التي بلغها. أما النبي, فقد اختاره الله ولديه كوب أكبر بكثير لكي يملأه. لذلك سأله الله في القرآن: ألم نشرح لك صدرك؟ وهكذا شرح صدره, وكان كوبه ضخما، كان عطشا على عطش بالنسبة له. ولا عجب أنه قال:''إننا لا نعرفك كما ينبغي لنا أن نعرفك, مع أنه من المؤكد أنه يعرفه كما لا يعرفه شخص آخر''-في أول لقاء لجلال الدين الرومي مع شمس تبريز في كتاب قواعد العشق الأربعون (مع بعض التعديل بالمعنى الذي أراده البسطامي)

الاسلام بين (المضمون) و(الفهم)

كلنا نقول أن الاسلام واحد وعندما نعبر عنه نختلف بالكثير، مما يظهر في أوعية الطوائف والمذاهب، كما يظهر اليوم في أوعية التنظيمات الاسلاموية أو غير الاسلاموية سواء التي تدعي أنها الاسلامية دونا عن الأمة أو المجتمع أو الناس خارجها أو لا تدعي، وفي أوعية الدول الإسلامية، ومفكري المسلمين.

يقول د.عادل عامر[4] كنموذج للتفكير المستنير: (معنى الإسلام فى السلوك هو السلام فى الأرض وهو فى العقيدة الاستسلام والانقياد لله تعالى وحده. المسلم فى العقيدة هو من يسلم

4- د.عادل عامر انهى دبلوم شريعة اسلامية ثم دكتوراة في القانون وهو صاحب نظرية الحب في الاسلام ومن المفكرين الاسلاميين المتنورين في مصر.

لله تعالى وجهه وقلبه وجوارحه، وذلك هو معنى الاسلام العقيدى القلبى الذى يرجع الحكم فيه لله تعالى وحده يوم القيامة، و ليس لمخلوق أن يحكم فيه والا كان مدعيا للالوهية متقمصا لدور الله تعالى رب العزة ومالك يوم الدين.المسلم فى السلوك هو كل انسان مسالم لا يعتدى على أحد ولا يسفك دماء الناس ظلما وعدوانا. وهذا هو المجال الذى نستطيع أن نحكم عليه، فكل انسان مسالم مأمون الجانب هو مسلم بغض النظر عن عقيدته واتجاهه ومذهبه وفكره ودينه الرسمى. تشريعات الجهاد فى الاسلام هى لرد العدوان فقط، والاستعداد للقتال هو لإرهاب العدو المعتدى وتخويفه وردعه مقدما حتى لا يقوم بالاعتداء، أى هى لحقن دماء العدو والدولة المسالمة أيضا)[5]

من هنا لا يستطيع أحد أن يدعي قدرته

5- من بحث لعامر تحت عنوان المرأة في الفكر السلفي والاخواني في موقع www.civicegypt.org وتجد تعريفا عدة للإسلام بالفهم المستنير عند فتح الله كولن، وراشد الغنوشي ود.شحرور وحسن الترابي وغيرهم الكثير

على سبر غور كل الإسلام، أو التعبير الكامل والشامل عن الإسلام (مضمون الإسلام الشامل، أو حقيقته المطلقة)[6] بما يتوقف عنده المسلمون ولا ينظرون للتطور والتغيير (العقل الماضوي النصي القطعي)، أو انه هو حصرياً ممثل الحقيقة وممثل الإسلام (كما توهم التنظيمات الاسلاموية أعضاءها والناس)، فالبناء الانساني المستند للرسالة هو بناء عقلي ولأنه كذلك فهو (فهم) آدمي ضمن أخلاط أفهام أخرى ببساطة لا يستطيع أي حزب اليوم أو طائفة أو جماعة دينية أو سياسية أن تدعي (الكمال) أو الشمولية لفكرتها على اعتبار انها هي الممثلة للإسلام ما هو مناقضة لكونية واتساع الاسلام من جهة ولمحدودية العقل والفهم الإنساني من جهة أخرى.

6- فيلسوف التنوير من القرن الثامن عشر «ليسنغ» تكلم في «البحث عن الحقيقة» فقال ما معناه: «لو خيِّرت بين الحقيقة المطلقة والشوق الخالد للبحث عن هذه الحقيقة..لجثوت ذليلاً بكل تواضع، وقلت يا رب: أعطني الرغبة في البحث، لأن الحقيقة المطلقة لك وحدك».

جواز تعدد أفهام الفاهمين:

يتعدد الفهم ما بين الذي نقصده بفهم المسلمين، أو بفهم المرجعية الدينية، أو فهم أصحاب الدعوة (الجماعة الدينية الخالصة الأهداف، او التي تركب الحزب سياسيا بمركب قداسة الفكرة الدينية).

وتعدد الافهام والرأي والفكر[7] هذا في الدين الاسلامي متاح لذلك قال التابعون (اختلاف أمتي رحمة) ما شرع تعدد الاجتهاد في الفقه وفي الفكر الإسلامي، وما قول الله تعالى (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين، ولذلك خلقهم...) (هود-118- 119) إلا جاءت

7- يقول الإمام محمد الغزالي:» من أمارات العظمة أن تخالف أحداً في تفكيره أو تعارضه في أحكامه ومع ذلك تطوي فؤادك علي محبته وتأبي كل الإباء أن تجرحه» ويقول أيضا: الإكراه سلاح كل فقير في براهينه،وكل فاشل في إقناعه؛ كلاهما أعوزه المنطق وأسعفته العصا».

في هذا السياق.

ففي أحد تفسيراتها أنهم لا يزالون مختلفين في الهدى أي ليس فقط في الملل والأديان بمعنى اباحة التعددية داخل الفكر الإسلامي، وما يؤكدها (ولذلك خلقهم) اذ تقول بها التفاسير أي خلقناهم «للرحمة والاختلاف» معا.

إن تعدد الافهام كسنّة اسلامية (الاجتهاد) أوجبت التفكير والعقل وهذا لا يبيح إدعاء الحصرية أو الشمولية أو القداسة للفكرة،[8] أي فكرة، لأي وعاء كان(تنظيم او شخص..) ولا

8- (اشار المراقب العام السابق لحركة الإخوان المسلمين في الأردن سالم الفلاحات ان عمر الاسلام حوالي 1450 عاما، وهو ليس ملكا لأحد للتحدث عنه، والمتحكم منذ عقود هو العقلية الليبرالية التي أنتجت المتطرفين والمتعصبين الذين يتحدثون باسم الإسلام أو المسيحية، داعيا على جميع الديانات السماوية إدانة الإرهاب بجميع اشكاله وصوره. ولا شك فان الدين كمفهوم هو مجموعة من القيم والمبادئالتي يتم تطبيقها من جانبين؛ الاول الاجتهاد البشري المعرض للنقد والتغيير والاستدراك حسب القدرة على تطبيق المبدأ.والآخر تاريخي والمقصود هنا ان تغير العصور يجب ان تتغير معها الاساليب والطرق، وما يحدث واقعيا على الساحة العربية مخالف تماما لما يدعو إليه الإسلام الذي هو براء منه.) تقرير حول "مؤتمر المرأة وربيع العرب" عام 2014 المنعقد في عمان بمشاركة 100 قيادية نسوية.

يبيح له إطلاق الاحكام على الآخرين وفق فهمه الحزبي التنظيمي المغلق هذا، بل يجعله فِهما ضمن غيره (في الأصول العشرين لحسن البنا اشترط الانضمام للإخوان المسلمين الفهم كما يفهمون في هذه الأصول فقط، بمعنى أنه أغلق التفكير خارجها واعتبر أن المعرفة هي ما يقوله فقطن ويتم الحكم من منطلقها)

إن التغطي بصفة «الاسلامي» هو وصفة كهنونية لا توجد بالإسلام فكما يقول الشيخ أحمد ابو غالي يصبح انتقادك (للإسلامي) كأنك انتقدت الاسلام نفسه رغم انه فكر انساني.

إن قصر أو حصر صفة (الإسلامي) بفئة دون غيرها طعن في أمة المسلمين وطعن في أمة دين الاسلام الذين سماهم الله المسلمين ولم يسمّهم ”الإسلاميين“ في نص القرآن الكريم. وان رغبنا ولا بد في استخدام مصطلح ”الإسلامي“

حديثا مخالفين في ذلك رأي الشيخ أحمد أبوغالي[9] فان المعنى لن نقبله من أفواه المحتكرين، ليكون الاسلامي هو كل مسلم مهما كان حجم تدينه، ورأيه، أما «الإسلاموي» فهو احتكار الدين والرأي في الحزب وشخوصه ما ينطبق على أكثرية الأحزاب الدينية اليوم.

9- يراجع كتاب ثـروت الخرباوي (الاخـوانـي السابق)، سرالمعبد، حيث يتحدث عن شيخه احمد ابوغالي من قيادات الإخوان المسلمين

كونية الإسلام السبعة ضد الحصرية

ان الاسلام دعوة التوحيد سماء تظلّلنا، وكون يحيط بنا، ومساحة رحبة لنا كبشرية وليس فقط كمسلمين، بل وككون، وليس فقط كمسلمين بل كبشرية، فكيف يأتيك بمن يحصره في بوتقة=وعاء=كوب الحزب الدعيّ!

لشمولية ورحابة واتساع الإسلام لا يصح إدعاء الاستيعاب أو الإحاطة الكاملة بكل ما فيه من أي وعاء أو تنظيم أو طرف، ومن هنا (ولا يزالون مختلفين) كما يقول الله تعالى في محكم التنزيل، الذي شرع سُنة الاختلاف سواء في الديانات والمِلَل والقوميات أو في الهدى ذاته.[10]

10- يفهم العديد من المفكرين الإسلاميين الإسلام اليوم بمعنيين متلاصقين ف»الإسلام الكوني» أوالشامل يطال الإنسان والكائنات والكون، وهو منذ آدم، و»الإسلام المحدد» أو

عدم قدرة الوعاء تجعل من فكرة (الحصرية) أو (الشمولية) في الوعاء أو (القداسة) (أوالاكتفاء بالذات) غير ذات محل، وغير ذات صلة بالفهم المستقيم، ما يتيح المجال لتعدد الأفهام بأدوات التفكير التي أشار لها القران الكريم، وبالبينة والبرهان التي تجعل طلب العلم واجب واختلاف أطعمة الشراب من منهل العلم جائز.

ونقرر أن كل من يعبر عن الإسلام هو يعبر عن فهمه هو، أو الفهم المُسقَط عليه من تنظيميه، أو استناداً لشيوخ المذهب أو الطائفة، وهذا الفهم (محدود) كيفما جاء، ولأنه كذلك، كانت التعددية

المحمدي أوالموصوف هو إسلامنا كمسلمين اليوم وإسلامنا هذا لا يعني ألا نربط الأمم الأخرى في الإطار الأوسع لفهم الإسلام أي الإنساني والكوني بمنطق التعامل معهم كامتحان مطلوب منا أن نجتازه بهدايتهم للإسلام-إسلامنا- مادمنا نتف معهم أو هم يتفقون معنا بالإنسانية (وهي المفهوم الإسلام الشامل) وعليه نتفق مع الأمم الأخرى بالكثير مثل الكثير من القيم الإنسانية وآليات المعاملات والتواصل، ونختلف في مضمون العقائد والعبادات...الخ ومن هنا واجبنا لاعادتهم لإسلامهم أواستكمال حلقات إسلامهم الفطري.

أصلا في الاجتهاد والفقه والفكر عامة وفي الفكر الاسلامي أيضاً.

في ظل هذا الوعي لا يحق لأحد أن يفترض كماله أو قداسته أو تعبيره الأوحد عن الإسلام فينصّب نفسه قاضيا يحكم بالحياة او الموت على مخالفيه بالنظر في عقولهم أوفي سلوكهم الخاص أو مواقفهم السياسية.

من الممكن أن نلخص ما سبق أيضا على شكل نقاط محددة كالتالي: أن كونية وسِعة الرسالة الاسلامية لا تقبل جدل المجادلين فهي تتمتع بخصائص محددة كالتالي:

1) انها رسالة انسانية ورسالة كونية كانت ودامت، لذا لا تقبل الضيق، فلا وعاء يحتويها أكان شخصيا أم مذهبيا أم حزبيا.

2) ان "الرسالة" هي الحقيقة المقدسة لا الفكرة اللاحقة، وليس "الفهم" الناشيء

عنها، والفهم المغلوط هو ما يؤدي بالتسلسل لتقديس الفكرة ثم قائلها ثم الحزب ثم شخوص أحزاب معينة فتقدَّس آراؤهم وسلكوكياتهم، وما هي بالحقيقة ألا "فهم" محدد_ومرتبط بحالات أو ظرف أو زمان ومكان وطريقة تفكير، إن المقدس هو الرسالة والنص وليس طبائع الفهم أوالأفكار الناشئة عن النص الأصلي.

3) الدين من حيث هو "رسالة" بعقائد على رأسها التوحيد مطلق، ومنزَه عند المسلمين، وأصحاب الأديان، أما ما ينشأ عن الدين من تفسير أومن فكرة أو فهم أو اجتهاد فهو نسبي،ولأنه نسبي فالصواب فيه ليس أحادي أو مكتفي بذاته ما يضع قاعدة تقرر تعدد الصواب في مواجهة أصحاب مدرسة حصرية الفهم التي تؤدي للانغلاق ضمن عقلية المعسكرين والفسطاطين.

رأي الفقيه في الاجتهادات الدينية قابل للأخذ والرد، فكيف بالشأن السياسي المتغير وعناق السلطة والمصلحة والمتغيّر والنزق والصراع مرتبطة بالضرورة بالسياسة والحكم والكرسي.[11]

4) شمولية الاسلام وكماله لا تقبل أن يدعي أي حزب أو شخص نفسه الممثل الحقيقي أو الأوحد للإسلام،فيصبح التنظيم = الإسلام والناطق باسمه كما فعلت محاكم التفتيش في أوربا لقرون ما هو فهم قاصر، وكما يفعل سيل التنظيمات الاسلاموية اليوم (قصة أبو يزيد البسطامي والرسول (ص) وجلال الدين الرومي).[12]

11- يقول الشيخ عبدالرحمان الكواكبي (لا يوجد في الإسلامية نفوذ ديني مطلقا في غير مسألة اقامة شعائر الدين، ومنها القواعد العامة التشريعية التي لا تبلغ 100 قاعدة وحكم...)، وكتابه طبائع الاستبداد يمكن لأي كان تحميله من الشابكة (=الانترنت)

12- سأل شمس تبريز جلال الدين الرومي (وهما من أشهر شعراء الصوفية) من هو الأعظم برأيك: «النبي محمد أم الصوفي أبو يزيد البسطامي؟“ فقلت: ما هذا السؤال؟ كيف يمكنك أن تقارن بين نبينا العظيم عليه الصلاة والسلام، خاتم

5) لأن الفكرة الناشئة (عن النص وفي الحالة الإسلامية هو القرآن الكريم) متعددة، واحتمالية الصواب للفكرة متعددة،أو تحتمل الخطأ أيضا،فلا يحق لشخص أو لحزب أن ينصّب نفسه حاكما أو قاضيا على دين الناس وعقولهم ما يجعله يصنّفهم كما يريد، فالإيمان بطبيعته

النبيين والمرسلين، وبين صوفي؟ قال: ألم يقل النبي: يا رب اغفر لي عجزي عن معرفتك حق المعرفة، في حين قال البسطامي: طوبى لي، فأنا أحمل حب الله ومعرفته داخل عباءتي؟

ثم قلت: حب الله محيط لا نهاية له، ويحاول البشر أن ينهلوا منه أكبر قدر من الماء. لكن في نهاية المطاف، يعتمد مقدار الماء الذي يحصل عليه كل منا على حجم الكوب الذي يستخدمه. ففي حين يوجد لدى البعض براميل، ولدى البعض دلاء، فإن لدى البعض طاسات فقط.''

''كان وعاء البسطامي صغيرا بعض الشيء، وقد روى عطشه بعد أن نهل جرعة، وكان سعيدا بالمرحلة التي بلغها.

أما النبي, فقد اختاره الله ولديه كوب أكبر بكثير لكي يملأه. لذلك سأله الله في القرآن: ألم نشرح لك صدرك؟ وهكذا شرح صدره, وكان كوبه ضخما، كان عطشا على عطش بالنسبة له. ولا عجب أنه قال:''إننا لا نعرفك كما ينبغي لنا أن نعرفك, مع أنه من المؤكد أنه يعرفه كما لا يعرفه شخص آخر''-في -أول لقاء لجلال الدين لرومي مع شمس تبريز في كتاب قواعد العشق الأربعون (مع بعض التعديل بالمعنى الذي أراده البسطامي).

وحجمه (المؤمن الضعيف والمؤمن القوي) علاقة فردية مع الله، والحرية أصل من الأصول.

6) سِعة الدين ورحابة الإسلام: تضع العقائد والعبادات والمعاملات كلَ منها في مسارها الصحيح،والعلاقة الأصل في الإيمان (التصديق) هي بين العبد وربه وضميره، وجهاده في ذاته،13 ما لا يبرر

13- يقول المفكر الاسلامي فتح الله كولن: (إن الجهاد في سبيل الله يجري في جبهتين اثنتين: الأولى، موجهة إلى الداخل. والأخرى موجهة إلى الخارج. ويمكننا أن نعرّف كلاً من الجهادين بالآتي: إن بذل الجهد إلى الداخل عبارة عن عملية إيصال الإنسان إلى ذاته وإلى ربه. أما الجهاد الآخر الموجه إلى الخارج فهو عملية إيصال الآخرين إلى ذواتهم وإلى ربهم. ويطلق على الأول ''الجهاد الأكبر'' وعلى الثاني ''الجهاد الأصغر''. حيث إن الإنسان بالأول يبلغ معرفة نفسه بعد اجتيازه العقبات بينه وبين نفسه حتى يبلغ معرفة الله ومحبة الله والذوق الروحاني. أما بالثاني فتتحقق بإزالة الموانع بين الإنسان والإيمان بالله سواء بالنضال أو القتال، لإيصاله إلى الله تعالى ومن ثم التعرف عليه والعروج في معرفته.) من كتابه الجهاد وحقيقته بالإسلام، ويطلق المفكر الاسلامي علي شريعتي اسم ''الحرث في حقل الذات'' على هذا الجهاد استنادا للآية (مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي

لأحد أي كان سلطة الرقابة على القلوب أو العقيدة أو العبادة أو سلوك الناس وتصرفاتهم،إلا وفق القانون والدستور،لا وفق فهم الحزب أوشخوصه.

7) التخصص وعدم الخلط:[14] فحيث أعتبر راوي الحديث مجتهدا أو العكس يقع الخطأ، وحين يعتبر مفسر القرآن فقيها يقع الخلط المتعمد بين (التخصصات) و(المجالات) هذا في مجال الدراسات الإسلامية، فكيف في المجالات الأخرى؟ حيث يجب فصل الشأن الديني الدعوي عن الفكري عن السياسي وفصل (مجال/نطاق) عمل الجماعة الدينية عن مجال عمل الحزب السياسي كما يجب عدم (فكرنة=أدلجة) الدين ما يؤدي (لاستعلائه) وحتما (لاستغلاله) و لنشوء أفكار مغلقة قد تُخرج التنظيم

الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ) (الشورى 20)

14- أنظر كتاب الشيخ محمد الغزالي (السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث)

من التعددية المباحة إلى دائرة (الفرقة) أو الطائفة الجديدة.

نحن في حركة التحرير الوطني الفلسطيني- فتح خرجنا من اشكالية النقاش النظري إلى فضاء الدين الواسع الفهم والى مجال العمل المتقن، وحيث أدركنا وحددنا الهدف وقع التخصص والتكرس والأولوية لفلسطين ضمن وعاء (التنظيم=المنظمة) وضمن فكر الوطنية الذي لا يقتصر وإنما يبتديء عند الجميع بحب الوطن، والذي يتم في ظل ذلك تعدد الانتماءات في الذات، ما دام التخصص والمجال مختلفا كليا.

اننا نرفض الصورة التي يرسمها الإسلاموي أو غيره من الفكراني (المؤدلج)[15] للدين أو النظرة

15- تتصف الفكرة الأيديولوجية بخمس مواصفات هي: أنها قطعية تؤمن بذاتها فقط وتستعلي على غيرها لذا فهي حصرية، وثانيا أنها ضيقة أحادية تكتفي بذاتها، منغلقة لا تتلاقح مع تجارب الغير إلا بصعوبة أي أنها غير منفتحة، وثالثا أنها فكرة شمولية تحتكر العقيدة والفهم الشامل للكون والحياة والإنسان، ورابعا هي تتغذى بالنقائض والعداء عبر نظرية المعسكرين والفسطاطين

لعلاقات الانسان والمجتمع والكون، فنحن نتفق ونختلف معهم، وهم ليسوا حراس الدين أبدا، كما يوهمون الناس، وحزبهم أو أحزابهم ليست الإسلام قطعا، وأي منهم ليس قاضيا يتسيّد فوق عرشه فيُسقط القداسة أو الحق أو الايمان على هذا ويسحبها من ذاك.

(تقدمي مقابل رجعي ووحدوي مقابل اقليمي وحق مقابل باطل)، وخامسا هي فكرة عالمية تحتقر الوطنية (أو القومية...إلا مع التطور الحديث) وكل ذلك نتيجته البارزة الانغلاق والجمود والاحتقار لرأي الآخر ما يؤدي لعزلة حقيقية لأعضاء هذه المنظمات التي تتبنى مثل هذه الأفكار.

ما هو الفهم الصحيح؟

بما أنه لا أحد يستطيع أن يدعي شرف تمثيل (الإسلام) حصريا لأنه إنسان يفكر ويخطئ ويصيب (وليس نبيا معصوما أو نصا مقدسا)، ولا يستطيع أن يدعي شرف امتلاكه (للفهم) الكامل والشامل والحصري والمكتفي بذاته للإسلام ما يعطي نفسه الحق ليقضي بشأن الآخرين، ويتدرج بالحق ليصبح متاحا لكل عضو في التنظيم.

استنادا لذلك نقول بالمقابل أن تعدد الأفهام، ما هو نعمة (في ظل ثبات فكرة التوحيد والنص والأصول) مجلبة للإجماع في حال حُسن المقاصد وصحة مناهج البحث وفي إطار التطور الزمني للعقل الانساني.

لذا يكون الفهم الصحيح هو إطلاق

حرية التفكير والتعبير، لأنني لا امتلك الحصانة والقداسة والمطلقية لفكرتي مهما كان منبعها (هناك من يدعي أن «فكرته» «إسلامية» بمعنى مُسقط على الآخرين أنها «الإسلام» ذاته لا غير في أي شان) على حساب الفكرة الأخرى، إلا بمقدار استخدام معدات التفكير والتأمل والنظر وبالبينة والحجة، وفي جميع الأحوال لاتعطيني الحق بالاتهام والتصنيف للناس المسلمين بين معسكرين أوفسطاطين أو زمرتين أنا قطعا في معسكر الإيمان والحق والجنة مقابل الآخر ممثلا بالكفر) أو درجاته (والباطل والنار! [16]

16- يقول الكاتب الاسلامي علي شريعتي: «إذا أراد الأنسان أن يفكر بحرية ويشاهد الأشياء بوضوح وبصيرة، فعليه ان يمارس بنفسه الكشف والتحليل والتحقيق ويجتهد حتى يتوصل لحقائق الأمور ويحذر التقليد ويتجنب اجترار قناعات الآخرين، وعليه أن لا يتأثر بشخصية الأبطال والقادة والعظماء، لأن الحق هو المعيار في تقييم الرجال وليس العكس».

الصراع الفكري والإسلاموية

يبرز في إطار الصراع الفكري في واقعنا الحالي نظرات نحو الاسلام مختلفة من حيث هو «عقائد» أو من حيث هو ممثلا بمرجعيته الدينية كتقليد وإتّباع، أو من حيث هو حزب دعوي، أو من حيث أن الاسلام هو «قيم وأخلاق» أو من حيث هو «معاملة» وسلوك وحسن فعل.

في داخل الأحزاب الإسلاموية إضافة لحصريتها للفكرة تحاول أن تربط العقائد بالقيم بمرجعيتها الفكرية هي فقط، التي تدعي أنها الاسلام بشموليته، لذا تُضفي شيئاً من القداسة على تصرفاتها الاجتماعية والسياسية، وهي تقصد ذلك لتحصّن سعيها للسلطة سواء سلطان فكرتها أو سلطانها الدنيوي، ومن المفترض أن

مثل هذا الأسلوب الضيق لا يُلزم احدا في الجماعة، لان وجهة المؤمن الأصل هي الاسلام لا الجماعة التي بأي شكل من الأشكال لا تساوي كلية الإسلام فما بالك بأحد من خارج الجماعة أو الحزب!

إن (الفهم) القاصر المختل بهذا المعنى فهمٌ متوقفٌ، وفهم ماضوي غير قابل للتطور أو التجدد ما يعني الجمود، والتفكير بأدوات عصر مضى، في ظل تطور الناس والواقع والعقل الذي أصبح يمتلك أدوات تفكير جديدة ومناهج متغيرة، وهو الخلل الذي لم تستطع معظم التنظيمات الاسلاموية إدراكه، فارتدت لتبني القوالب الجامدة أو القوالب المصبوبة المريحة نفسيا وحصّنتها بالآيات وفق الفهم السابق المرتبط بزمنه، ورفضت سماحة المفسرين الذين لم يقصُروا تفسيراتهم فقط على ما يعتقدون، وإنما اوردوا التفسيرات المختلفة بل والمتناقضة أحيانا.

إضافة لما سبق لا يعني أن هذا الفهم القاصر بنظرنا وهو فهم الجماعات الاسلاموية، على تنوعها، هو الفهم السائد في المجتمعات الإسلامية، فهناك «أولويات» لدى الفرد أو الجماعة أو الناس لها دور في اعتبار هل العقائد وتأدية الفرائض أولا، أم الالتزام بالخلق والسلوك الحسن أم كلاهما، ومع أو بدون الارتباط بالحزب.

التطورالزمني واختلاف النظر

إن عامل (التطور) في الفكر والفهم، ومناهج النظر يصبح دلالة المرحلة، وشهادة أشخاصها عليها، بمعنى أن دراسة أو مراجعة أو تقييم مرحلة زمنية وشخوصها بأدوات زمن مختلف تأتي بنتيجة مختلفة، لذلك وجب استخدام أي مفهوم أو تعريف أوقضية في نطاق عصرها أولا، ثم تشريحها في ظل العصر الراهن بأدواته والنظر في أسباب ومقدار التغيير الحاصل، ومن هنا يحدث التطور والفهم المختلف قياسا بالتاريخ وأدوات التفكير.

أن الفكر شان انساني والفكر جهد وفعل انساني يقوم على الادراك والتأمل والاستنتاج والقدرة على الاختيار في المسائل والمشكلات بعد

الملاحظة والقياس أو مجرد التأمل، والتطور في المجتمع وفي الفكر بالضرورة يعني التفاعل المستمر بين الناس والأفكار المتنوعة والواقع المتحرك، وللتطور ملمح سلبي أو إيجابي وغالباً ما يكون التطور مستجيباً ايجابياً لحاجات الانسان وتجددها، ومواكبة التطور لدى الآخر تحتاج منا للانفتاح الذهني وبيئة حافزة لا يتم شدها للخلف خوفا وهلعا.

يقول «فيكتور هوغو»: (إنه لثناء باطل أن يقال عن رجل أن اعتقاده السياسي لم يتغير منذ 40 عاما، فهذا يعني أن حياته خالية من التجارب اليومية والتفكير والتعمق الفكري في الأحداث)

ان التطور الفكري هو عصارة أو خلاصة الأفكار المستجدة والمستوعبة من قبل الآخر ما ينتج عنها التقدم والتغيير في ظل ثوابتنا العقدية وعلى رأسها رسالة التوحيد، والا نكون قد اخترنا الظلامية والجهالة والتراجع بأيدينا وبإغلاق عقولنا.

الخلط بين السياسي (الحزبي) والدعوي

كان لا بد لمثل هذه المقدمة التي ابتدأت بعنوان كبير لم استسيغه هو (الإسلام) وآخر عنوان صغير مقترن بالكبير هو التنظيم أو الجماعة أي كانت، ومنها حركة فتح لنوضح أن هناك عوامل عدة لا تسمح لأحد أن يقرن نفسه حصريا وبشكل كلي ومطلق ومكتفي بذاته وبقداسة للمعتقد مع المسلك السياسي المتغير والنسبي له في إناء واحد يتيح لصاحبه الامساك بسلطان الحكم على الآخرين فيبدأ بتصنيف الناس واتهامهم أو إعطائهم صكوك البراءة والإيمان فيُعلّق في أعناقهم مفاتيح الجنة او لا يفعل، فالكل مسلم وكل مسلم فهو اسلامي مهما كان رأيه السياسي أو حجم اقترابه مع الدين ما

هو شأنه للشخص مع خالقه،) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (ق 16) أما الإسلاموي فهو الذي يحتكر ويحصر الفكرة في حزبه دونا عن غيره ويبرأ ويستعلي على الآخر ويطرده من الجنة.

حركة فتح خرجت منذ زمن طويل من معادلة صراع السياسي والديني، أو الدعوي والحزبي الذي تعاني منه كثيراً الأحزاب الاسلاموية اليوم، الى الدرجة التي طالب كثير من متنوريها إحداث الفصل الكلي، لا سيما أن هذه الاحزاب كانت تعاني من هذا الخلط عند انطلاقة الثورة في سياق شعارات كبيرة رفعتها سعيا للسلطة (أكانت تحت مسمى الشريعة او الدولة او الخلافة او التمكين) مقابل فعل ضامر.

إن خلط الدعوي الثابت بالسياسي المتغير، وحصرية الفكرة المقدسة ضمن الحزب هو الذي الذي يفجر المنطقة العربية والإسلامية كلها، حيث يتم ركوب خيل الدين باسم إقامة الدولة،

أو عبر الحزب والعمل السياسي المرتبط بالسلطة والكرسي، ما حول الأمة الى ركام وشيع وأحزاب.

نحن في حركة فتح لسنا جماعة دينية دعوية ولم نكن أبدا، فالمجال الدعوي مجال آخر ليس مجال (تخصص) التنظيم السياسي، فنحن ضمن فهمنا لمعنى التنظيم السياسي أو الثوري أنه تنظيم أهداف وبرامج لا تنظيم قضاة وحاكمين على دين الناس أو فكرهم، ولإننا كذلك نرفض رفضاً قاطعاً الاستغلال الديني (أو الفكراني=الأيديولوجي) من أي كان للدولة، ونرفض الاستغلال للدين داخل الحزب السياسي، أو من الدولة فكلاهما مختلفان كما اقتنع عديد المفكرين الاسلاميين الذي ادركوا أهمية التطور وفصل التخصصات وإعطاء الحرية للعقل.

ولا نرى في الدولة أي وسيلة للحرية والعدالة والمساواة بين المواطنين جميعاً إلا تحت راية التعددية والتوحيد والإنسانية والكونية.

تبنت حركة فتح فكرا نشطا مِرحابا متطورا مازج بين: الوطنية[17] (كمحبة وتخصيص[18] وتكرس وتركيز وأولوية وإبداع) والكيانية (في كيان نضالي ثوري يمثل الوحدة الوطنية الجامعة ويبرز الشخصية العربية الفلسطينية) والاستقلالية[19] (للإرادة الحرة) والتشاركية (بالديمقراطية والمدنية والتواصل والتداول) والعقلانية (والمدنية والاعتدال والوسطية واحترام

17- (الفكرة الوطنية في مدرسة صخر حبش -من قيادة الحركة الراحلين- تتعانق مع مفهوم الوحدة، ولا تنفصل عنها، ممثلة بوحدة الخط الفكري و وحدة النظرية ووحدة التنظيم بكافة مكوناته بعيدا عن الشللية والزعرنة والتكتلات سواء داخل حركة فتح، أو الوحدة الوطنية في إطار (م.ت.ف) وفصائلها والشعب الفلسطيني.) من دراسة قدمها بكر أبوبكر في فلسطين لمؤتمر عن فكر صخر حبش. في جامعة القدس العام 2014

18- تتميز القضية الفلسطينية بأنها (ذات خصوصية عربية ودولية بالإضافة إلى الخصوصية الفلسطينية)، وخصوصيتها القومية تعني (أن يدخل العرب ميدان الصراع ضد الصهيونية والسياسة الأمريكية الى جانب شعب فلسطين وقضيته)-خالد الحسن

19- يقول خالد الحسن عن الاستقلالية (إن هذا يعني أن لا يكون القرار الفلسطيني تابعا لدولة عربية بشكل ميكانيكي)

الآخر) في إطار حضارتنا العربية الإسلامية الرحبة، والإنسانية التقدمية فهي بذلك قد اختطت لنفسها طريقا عمليا تستطيع بها أن تجمع الكل الفلسطيني والكل المناضل العربي والإسلامي والمسيحي والحر العالمي نحو قضيته بعيدا عن التنظيرات الفارغة ومفاهيم الاستعلاء والإقصاء للآخر.

(فئة من هذا الشعب تحاول من خلال (فتح) أن تنتقم لسنوات الضياع التي عاشها هذا الشباب في حيرة وألم، يبحث عن الطريق ويتلمسها أحيانا من خلال الأحزاب وأحيانا من خلال النظريات، ويتلمسها أحيانا من خلال هذه الدولة أو تلك...وكان الرفض المطلق للتلمّسات السابقة هو منطق «فتح» فرفضت النظرية دون عمل، ورفضت الوصاية في أي جهة..وبدأت ترفع شعارات جديدة في المنطقة..قوتها في بساطتها

وأصالتها)[20] ويضيف ممثل حركة فتح في مقابلة له في العام 1968 إلى ما سبق قائلا (إيمان «فتح» بالوحدة الوطنية قائم على أسس علمية نابعة من كون المرحلة التي يعيشها شعبنا هي مرحلة الكفاح الوطني لتحرير الأرض...)،وبعد استعراض لتناقضات الوضع والنظريات والأحزاب يضيف قائلا: أنه (كان لا يمكن أن تجمع هذه التناقضات إلا «فتح»، التي قالت بإذابة التناقضات الثانوية من أجل التناقض الرئيسي بين الشعب الفلسطيني والوجود الصهيوني المحتل لأرضنا) وذلك (بنظريتها العلمية الواقعية) مؤكدا أن (مفاهيم «فتح» في الثورة الشعبية وحرب الجماهير هي المنطلق لأي معركة قادمة مع العدو الصهيوني...) مستفيدين من تجارب العالم ونرفض أن (نكون قرديين نقلد ونرفع الشعارات البراقة) ليختم المتحدث

20- الكتاب السنوي للعام 1968، الإعلام المركزي لحركة فتح، في مقابلة مع ممثل حركة فتح تحت عنوان (الثورة الفلسطينية أمام القضايا التي تواجهها) ص56 وص 57

باسم حركة «فتح» مداخلته هذه عام 1968 التي مازالت صالحة لليوم 2015 بالقول (إن أهم قيمة للإنسان أن يفهم ما يقرأ، وأن يطبق على واقعه ما يستمده من نظريات، وأخيرا فإن تجارب الثورة الفلسطينية ستخلق نظريتها الذاتية من خلال المعاناة وحتما ستكون تجارب الشعوب إحدى مواد هذه النظرية الجديدة)[21]

يقول المفكر العربي والقائد الفتحوي عثمان أبوغربية[22]: (تتمحور الفكرة الاستقطابية لدى حركة فتح منذ البدايات حول أركان أساسية جوهرها يتمثل في:

1) الوطنية الفلسطينية كضرورة وطليعة قومية ونقيض للكينونة الاحتلالية.[23]

21- المرجع السابق ص57

22- ورقة عثمان أبوغربية تحت عنوان (محددات عامة لبرنامج استقطابي تعبوي في إطار ثوابت الحركة وبرامجها ومفاهيمها الأساسية) عام 2013

23- اعتبر د.نبيل شعث (عضو اللجنة المركزية في حركة فتح

2) أولوية خط التحرر الوطني وأهدافه زوال الاحتلال وتحقيق الاستقلال.

3) اعتماد الوسائل المجدية لتحقيق الأهداف حيث تطور الحركة رؤيتها وفقا للظروف الموضوعية للمراحل والوسائل والأساليب على قاعدة اعتماد كافة أساليب النضال المجدية والمناسبة لكل مرحلة وظروفها ومجمل العوامل المؤثرة.

4) تستند الحركة في كل ذلك على برامجها ونظامها الداخلي الذي يجري تطبيقه في إطار النظام الأساسي والنص الخاص بذلك في مطلع النظام الداخلي ومقدمته.

5) العدو ليس دين أو قومية أو جنس، وإنما هو الاحتلال.

6) وفي إطار هذا الجوهر أعلنت فتح هويتها

الآن، وليس حينها) في دراسته في شؤون فلسطينية عدد مايو 1971 أن الدولة الديمقراطية العلمانية (الواحدة) هي رفض كامل للدولة اليهودية.

على النحو التالي: فلسطينية الوجه،عربية القلب والأعماق، وإنسانية الآفاق. وقررت استخدام كافة الحوافز الإنسانية والقومية والوطنية والدينية التي تؤدي إلى تحقيق الأهداف.)

حركة فتح والتعددية

في حركة فتح مساحة رحبة للتعددية والاختلاق ترفض بموجبها قداسة الفكرة الانسانية وترفض الحصرية والمطلق، وترفض الجمود وإغلاق الفكر ولا تقر تصنيف الناس بين مؤمن وكافر او تقدمي ورجعي، فتح التي هي بنت فلسطين وهي أم فلسطين وهي شبه فلسطين كما قال عنها العلامة هاني فحص، هي محطة التقاء وسبيل ووعاء كافة الجهود ضمن أهداف وبرنامج محدد لتحرير فلسطين.

في حركة فتح حوار فكري دائم صاخب، وقد يكون صامت وهاديء لا يظهر على السطح، وهي في تطور مستمر لذلك تسمع داخلها، وان كان لدى قلة من يدعون لهذا الفكر أو ذاك ما يتوافق مع الخطوط العامة لفكر فتح او يختلف،

ومنهم من يدعون للعلمانية عقدة الاسلامويين الذين يشيطنون ما لا يفهمونه او ما اقتصر فهمهم على مدلول بسيط منه دون رغبة بالتفكير.

قلنا أن في حركة فتح (وغيرها من التنظيمات السياسية اليوم وللمفاجأة منهم مفكرين اسلاميين معتبرين) من يدعون للعلمانية وفق تعريفات متناقضة وعديدة من تعريف العلمانية كما عرفها الفيلسوف المتدين «جان لوك» في القرن ال17 أو وفق تطبيق محدد في هذه الدولة او تلك أو وفق مفاهيم عدة ما يطلق عليها العلمانية الشاملة أو المؤمنة أو الجزئية أو تلطيفا للمصطلح الذي شوهه الاسلامويون عبر الزمن كما شوهه غلاة العلمانية أيضا بما يسمى اليوم المدنية، أو الابتعاد عن كل ذلك والدعوة للديمقراطية.

وفي جميع الأحوال لا نجد تعارضا بين (حق) التفكرهذا في حركة فتح، وبين التنظيم

السياسي، بينما قد يجد الآخرون ذلك لأنهم يخلطون متعمدين بين الدعوي والسياسي في ذات الحزب وحصرية فكرته وشموليتها، على نسق خلط ملوك اوروبا في القرون الوسطى بين تصرفاتهم السياسية واستخدام الكنيسة في تبرير هذه التصرفات دينياً.

مجالات وانتماءات

أنا كمسلم اعتز بانتمائي لديني السمح والحنيف، كما الحال مع المسيحي واعتزازه بما يؤمن، وأعرف كيف اعبر عن كل تخصص في مجاله، فعقيدتي الدينية وطريقة تفكيري ومنهجي الحضاري الاسلامي العربي المنفتح[24] لها فضاء رحب داخل حركة فتح أعبر من خلاله عما أريد كما هو ذات الفضاء المرحاب لمن يخالفني وينتقدني أو يتفق معي جزئياً أو كلياً.

24- (تظهر التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية الواضحة في كتابات مفكري الحركة، ومنهم صخر حبش، سواء من خلال الاستشهادات أو الاقتباسات أو الأمثال أو القصص، والإشارات المستقاة من تاريخنا الحضاري العربي الإسلامي، فهو المؤمن بالثورة وحتمية النصر الذي كان يتزود من معين حضارتنا وبالأفق الرحب المتماهي معه بالإسهامات المسيحية والعالمية.)- من دراسة بكر أبوبكر المشار لها في فكر صخر حبش التنظيمي

وأعلم معنى القطع مع الاستخدام المسئ للدين في الخلافات السياسية فالتنظيم وعاء للحوار والتخطيط والعمل لتحقيق الهدف، والهدف هو فلسطين وليس منابر التكفير والتشاتم والاتهام بالعقيدة أو الدين، اذ يتحول أصغر خلاف شخصي أو سياسي أودنيوي لطعن في العقيدة أو المسلك أو الدين (فما اقوله أنا كرأي هو من الدين وأنت لست كذلك).

إن كل مسلم هو إسلامي[25] مهما كان رأيه السياسي وحجم اقترابه من الدين لا يحق للاسلاموي أن يسمه بغير ما اتاحه الله له مع

25- أنظر ما يقول الشيخ عبدالرحمن الكواكبي في الاسلامي او الاسلاموية في كتابه الثمين طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد (الاسلامية: مؤسسة على أصول الحرية برفعها كل سيطرة وتحكم بأمرها بالعدل و المساواة والقسط والاخاء ويحضها على الإحسان والتحابب وقد جعلت أصول حكومتها الشورى الارستقراطية اي شورى أهل الحل والعقد في الامة بعقولهم لا بسيوفهم وجعل أصول ادارة الامة: التشريع الديمقراطي أي الاشتراكي...وقد مضى عهد النبي عليه السلام وعهد الخلفاء الراشدين على هذه الأصول بأتم و أكمل صورها).

صلة مباشرة به، لذا فإن حصريته لفكرته وتخصيصها لحزبه واستعلاءه على الآخر هو شأن لا يعنيني في حركة فتح ولذلك فانتمائي لديني لا يتعارض مع،بل ويتدعّم مع، انتمائي لوطني فلسطين، ثم لأي أبعاد أخرى، ثم لأي تنظيمات ثقافية أومجتمعية أو رياضية أو غير حكومية أو سياسية انتمي لها وما يختلف فيها عندي عن غيري هو ترتيب الأولوية، ومن يفهم غير ذلك فهو جاهل.[26]

26- يقول المفكر السوداني حيدر ابراهيم على في مقال له حول الموضوع في 2015/10/5 تحت عنوان ماذا يتبقى من الاسلام السياسي؟ على موقع نقطة واول السطر ((أفرّق لأسباب اجتماعية وفكرية بين: المسلم والإسلامي والإسلاموي. فالأول، شخص مؤمن عادي يحاول علي قدر الإمكان الالتزام بفروض الدين وسننه. والإسلامي يضيف إلي ذلك، إيمانا بشمولية الإسلام ولا يكتفي بالعبادات. أمّا الإسلاموي فكل هذا وزيادة – كما يقول المناطقة إذ يتضخم لديه السياسوي.))، مضيفا ((وكانت الحركات الإسلاموية تناقش هل الأولوية للدولة أو السلطة السياسية أم للمجتمع؟ وانتصر تيار الدولة والسلطة، مرددا:» ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن«)) ونقول: رغم أن المقولة المشار لها إن صحت فهي ارتبطت بفترة زمنية هي فترة الفتنة فقط وتتعارض مع حكمة وقوة القرآن والضمير وسيادته.

ثانيا:حركة فتح والإسلاموية والعلمانية

عندما تشتم (تتهم) الاسرائيلي أنه صهيوني، فهل هذه حقا شتيمة؟ عنده أي الاسرائيلي أبدا، لأنه يعتبر الصهيونية فخرا له، وهي كما يراها حركة تحرر وطني، وبنفس المعنى عندما تقول لنائب في البرلمان أنت ديمقراطي! فهل هذه شتيمة؟ هذه ليست شتيمة.

عندما تضغط على نفسك لتطالب «حماس» الخروج من أفقها العالمي ضمن «الاخوان المسلمين» لتكتفي بالعباءة الوطنية، أتظن أنك تجد استجابة وأنت تطلب ذلك؟ ام تظن أن حماس ستركض طائعة لرد «تهمة» الانتماء للإخوان المسلمين؟

هي ترى بانتمائها للإخوان المسلمين فخرا

وولاء وبراء وطاعة عمياء، ولا ترى بها تهمة او شتيمة أبدا، بل العكس تماما من يعارضها هو المتهم، وهو الذي يتعرض للشتيمة.

(التخويف والترهيب) من أي فكرة أو شخص أو شيء هي حيل دفاعية تستخدمها التنظيمات عامة، واستخدمها «الاخوان المسلمين – التيارالقطبي» ضد مناوئيهم، فأسقطوا على الناس حالة من (التهيب) والرعب من نقاش أي مسألة جدلية أي كانت خوف الاتهام (من الشيوخ؟!) لهم –أي الناس الذين يجرؤون على النقاش– بأنهم ضد الاسلام او ضد الدين، لذلك أغلقت عقولهم وامتنعوا عن التفكير.

«الاخوان المسلمين» لتحصين أفكارهم تعمدوا الى اتباع سياسة (التقديس) لفكرتهم مقابل سياسة (التشنيع) والاتهام للأفكار الأخرى و(التخويف) حتى من نقاشها، وبالتالي إدخالها في باب (التحريم) رغم أن حسن البنا بفكره

الواقعي حاول أن يجد صيغاً جامعة لكثير من المتناقضات في عصره مثل (الاسلامية والقومية والوطنية،والديمقراطية والدستور والأحزاب...) ما لم يستوعبه اللاحقين له، فشنوا حربهم الشعواء على الوطنية والقومية والديمقراطية والاشتراكية والعلمانية باعتبارها جميعا كفر أو جهالة أو ردة، فأصبح حتى التفكير بها او نقاشها محرما وإن حدث تطور كبير في الأفكار وطرق الفهم.

بعد مرور 80 عاما على فكر «الاخوان المسلمين» يخرج منهم –وعليهم–من يؤمن بما شنّعوه واتهموه وحرموا نقاشه، وفي ذلك فتحا عقليا وقدرة على التطور ورغبة في التعلم.

ومن ذلك ما حصل في تطور لفكر شخصيات إسلامية معتبرة، ومنهم بالاخوان المسلمين ممن تقبّل مفاهيم الوطنية والديمقراطية ثم العلمانية أو في أحد تفسيراتها أو بتطوير للمفهوم، ما يعني نقضهم للقوالب الجامدة (بل وللاشتراكية

بصيغة الوعي بالعدالة الاجتماعية وليس الأخذ بالمادية الديالكتيكية التي تنظر للإلحاد).

لذلك عندما (تتهم) حركة فتح أنها علمانية! كأنك تقول (تتهم) الحركة بأنها متطورة ومنفتحة وتفهم مسبقاً وتناقش وتتحاور في ما لم تفهمه التنظيمات الأخرى أو بعضهم إلا متأخرين كثيراً.

الدعوة لدولة ديمقراطية يعيش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود في فلسطين دون تحيز هذا هو حقيقة الفكر السياسي الأصل منذ العام 1968 الذي طرحته حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح سواء أسماه الغرب أو أسماه المخالفون ديمقراطية أو علمانية أو فتحوية.

هذا لا يهم فهو ليس (تهمة) لترد وليس نقصاً بالفهم يحتاج لتعديل بمقدار ما هو وعي بحقائق الأرض حينها، والمستقبل -الذي أصبح

اليوم لمن كان أعمى- واضحاً كالشمس إذ لا عيش في فلسطين (كلها) إلا وفق الصيغة الفتحوية للدولة الواحدة منذ العام 1968.

ومع ذلك فإننا من الممكن أن نرجع قليلاً لنناقش بشكل علمي دون أحكام مسبقة أو اتهامات أو تشنيع أو تحريم أو اطلاق صفات (سيئة السمعة) على مفهوم (العلمانية) لنفهم معا عن ماذا يتم الحديث؟

في تاريخية المفهوم ودلالاته كتب الكثيرون ممن يمكن الرجوع لهم فمنهم من جعل المفهوم فلسفة حكم، أو طريقة إدارة، أو قاعدة للمساواة والعدالة،أو مرادف للإنسانية، أو نمط تفكير علمي أو فكرة جامعة عالمية، ومنهم من تطرف ليعتبرها «دينا» يرفض الأديان الأخرى ويهزأ بها (العلمانيوية) فتعددت السياقات التاريخية وتعددت التعريفات ثم تعددت التنقيحات والرؤى وكذلك الأمر مع التجارب في المجتمعات الأوروبية

والآسيوية والأمريكية تحديداً.

ما يهمنا في سياقنا الاسلامي أن الاسلامويين ما زالوا ينبذون ما لايفهمون، أو يتوجسون ريبة أو تشككا في الحد الأدنى مما هو وارد من الغرب، ويأنفون أو يرفضون أو يتحرجون من استخدامه، ومن شق عصا الطاعة في هذه، وفكر وقدر وتدبر وفهم في غالبه، اما شق طريقا له مختلفة وإما خرج من جماعة «الاخوان المسلمين» كمثال أوبقي يكتم فكره، أوبقي ضمن الفكر السلفي الماضوي يكفّر علناً حتى اليوم مفهوم «العلمانية» على تعدد تعريفاته.

سنعرض للمفهوم بتعريفاته العديدة وأن باقتضاب، وكيف نظر له علماء ومفكري المسلمين وأيضاً منهم في حركة فتح.

العلمانية ولعنة الفراعنة

ليست العلمانية لعنة الفراعنة كما أنها ليست نظرية مصمتة، ولا هي نظير الكفر أوالشيطان أو ضد الاديان في الفهم الحديث المتطور للمفهوم لا سيما وأن نشأتها جاءت بصيغة، وتمت المغالاة لتصبح عند البعض دينا مناهضاً للأديان، وعند آخرين على مسافة متساوية من المواطنين بأديانهم فتعددت ألوان فهمها وأشكالها.

ما بين (العلمانية الشاملة) التي تلغي دور الدين في كل المجالات سواء في السياسة أوالمجتمع أو القيم والأخلاق الدينية المنشأ، وتُعلي من شان الإنسان فقط دون مرجعية كما عرّفها د. عبد الوهاب المسيري إلى (العلمانية الجزئية) أيضاً كما يعرفها التي تبعد إقحام الدين في الدولة والسياسة

فتتحول تلك (الشاملة) للملكية الاقطاعية في أوروبا التي سادت باستخدام الدين لتبرير حكمها وتسلطها وجبروتها على الناس وفي آلية تناوب مع الكنيسة ماهي مرفوضة عند د.عبدالوهاب المسيري –وعند مفكري التنور الإسلامي- الذي اعتبر (العلمانية الجزئية)[27] من حيث فصل الدين (استغلال الدين) عن الدولة (استغلال الحكام بالدولة للمذهب في الحكم) اعتبر هذا الفصل مقبولا، بل وزاد على ذلك د.راشد الغنوشي إذ أصّل لهذه العلمانية الجزئية وقرر أن لها قبولاً في الفكر الإسلامي وأسماها العلمانية الجزئية المؤمنة.

نعيش اليوم في زمن مختلف كليا عن ذاك

27- العلمانية الجزئية عند المسيري: هي رؤية جزئية للواقع لا تتعامل مع الأبعاد الكلية والمعرفية، ومن ثم لا تتسم بالشمول، وتذهب هذه الرؤية إلى وجوب فصل الدين عن عالم السياسة، وربما الاقتصاد وهو ما يُعبر عنه بعبارة ”فصل الدين عن الدولة“، ومثل هذه الرؤية الجزئية تلزم الصمت حيال المجالات الأخرى من الحياة، ولا تنكر وجود مطلقات أو كليات أخلاقية أو وجود ميتافيزيقا وما ورائيات، ويمكن تسميتها ”العلمانية الأخلاقية“ أو ”العلمانية الإنسانية.

الزمن الذي انطلقت فيه الثورة الفرنسية، ومنذاك الوقت بل قبيله وحتى اليوم جرى في النهر ماء كثير وتطورت وتعددت الأفهام.

كان الفيلسوف جان لوك قد وضع في القرن17 أسس العلمانية بالنقاط التالية

1) عدم انحياز الدولة لدين أو مذهب معين، لأن في ذلك تشجيع للناس على النفاق

2) وحدة الدولة، والتعايش السلمي بين المواطنين وحرية العبادة

3) لا معاداة للدين وإنما منع استغلال الدولة له لتبريرسياساتها.

4) انقاذ الدين من تلاعب السلطة لأغراضها.

وبذلك تكون العلمانية كما عرّفها (لوك) فلسفة أو أداة حكم، وتكون الدولة وسيلة، وليس كما جرى من تطبيقات أو عشرات التعريفات اللاحقة التي وصل الأمر بكثير منها للقول بموت

الإله، والتشجيع على الإلحاد، ومعاداة الدين تحت راية العلمانية كاليعاقبة في فرنسا، وخاصة فيمن يسمونهم اليوم «العلمانويين» أو أولئك الذين غالوا وتطرفوا فاتخذوا العلمانية دينا دون سائر الأديان فعكسوها في سائر تفاصيل المجتمع.

المفكرون الاسلاميون
وراشد الغنوشي والعلمانية

يقول د.محمد عمارة: «إسلامنا علماني بامتياز، وان مصطلح العلمانية، لا يمثل عدوانا على ديننا، ولا انتقاصا من إسلامنا، بل على العكس يمثل العودة بديننا الحنيف الى موقعه الأصيل، وموقعه المتميز في هذا الميدان»[28]

ويرى جمال البنا في (رسائل الإسلام والحرية والعلمانية):«إن ثمة علمانية إسلامية تتأسس على حرية الفكر والعقيدة، وانتفاء وجود نظام سياسي ديني في الإسلام»

28- كتاب (الإسلام والسلطة الدينية) صفحة 93، 94.ويعد د.عمارة من أشد من كتبوا ضد العلمانية بمعناها المناقض لله، وبمعناها الوجودي، أما من ناحية التعامل مع العقل والعلم والحرية فهو يراها في عمق الإسلام كما يراها المتنورين عامة.

يعرف الأستاذ أحمد خلف الله[29] العلمانية على أنّها «حركة فصل السلطة السياسية والتنفيذية عن السلطة الدينية، وليست فصل الدين عن الدولة»، وهو من التعريفات التي تلقى قبولا عاما.

لكن دعنا نعرج على طرح راشد الغنوشي فعندما أراد الشيخ راشد الغنوشي[30] أن يعرض للعلمانية استخدام أسلوباً ذكياً، لعلمه بمقدار الرفض وعدم التقبل من قبل المستمع المسلم (وخاصة الأخواني) للمفهوم، الذي خضع تحت وطأة «أخونة» فكره بالنقائض، التي لا حل لها بين المصطلحات حيث عمد الغنوشي للتدريج بالعرض خطوة خطوة لتقديم

29- محمد أحمد خلف الله أديب وعالم لغوي مصري، كان عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ومجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ومن مؤلفاته القرآن ومشكلاتنا المعاصرة، ودراسات في النظم والتشريعات.

30- للاستزادة في فكره من الممكن مراجعة كتابه «الحريات العامة في الإسلام»

العلمانية بأقوال الآخرين مميزاً على درب د. عبد الوهاب المسيري بين (العلمانية الشاملة) و(العلمانية الجزئية) ليطلق على الأخيرة (العلمانية الجزئية المؤمنة) وأن خالفه في ذلك د.مصدق الجليدي[31] إلا ان أسلوبه يعد مثالًا يحتذى به لنقض الغث الموروث من جامد

31- استنادا لتعريف الغنوشي للعلمانية الجزئية، ينتقد الدكتور مصدق الجليدي فكر راشد الغنوشي ولا يقبله باعتباره يمثل الفكر الإسلامي الإخواني التوفيقي، ما ليس فيه ابداع، ويمثل روح البراغماتية السياسية، حسب رأيه، ويقول عن تعريف الغنوشي (وهو ما يذكرنا بالحيل الفقهية التي كان يمارسها القدامى لتجاوز بعض عقبات التشريع في الحالات المستعصية). ويقول الجليدي ضمن تعريفه هو «للعلمانية المؤمنة» أنها تعبر عن روح ثقافة الاسلام في الاجتهاد والحكمة والتعددية والكرامة، وتسعى «المؤمنة» لدولة مدنية تتشكل من القانون والمؤسسات والديمقراطية والمواطنة والاختلاف، ويطالب بفصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية، مضيفا أنه يجب (رفع السلطة الدينية عن رأس الدولة، فلا يتحكم أحد بخيارات الدولة والمجتمع باسم الله، أو حتى باسم السّهر على إنفاذ أوامر الله إذ أن هذه الأوامر يختلف فهمها من عالم إلى آخر ومن سياق إلى آخر ومن زمن إلى آخر))=مصدق الجليدي كاتب ومفكر تونسي، يشغل خطة أستاذ العلوم الثقافية والتربوية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، ومن كتبه الهامة ذات الصلة "الإسلام والحداثة السياسية").

الفكر، وفي الدعوة لإعمال العقل، وفي فهم لسنة الكون والأفكار في التطور، ولننظر كيف فعلها الغنوشي بالتدريج:

ابتدأ العرض المتسلسل لفكر المتلقي بعرض مساؤي العلمانية ورفضه لها كنقيض للدين أو كفلسفة إلحاد، كما يفهم القاريء، حيث يقول مستطردا (هذه العلمانية الشاملة تتجه قُدُما إلى نزع القداسة عن كل شيء وطرد المقدس من العالم ومن كل نشاط اجتماعي أو خلقي، وتحويل كل ما في هذا العالم إلى مجرد أدوات استعمالية ليس أكثر). ثم يرفضها كشمولية متصادمة مع الدين ويرفضها (فلسفة حلولية مادية لا تستبقي من الإنسان غير جملة من الغرائز والاندفاعات) يتبعها بأمثلة ثم يرى عرضها اللاحق لتقديم واستجلاب التقبل لما سيقول أنه (ما يضعنا إزاء معضلات شائكة)

هو في الحقيقة يتدرج ليكسر منطق تحريم

النقاش في العلمانية من حيث حكم "الاخوان المسلمين" وغيرهم ذو الطابع القطعي ليخلص إلى القول (أولا: يمكن اعتبار التمييز بين منظور علماني جزئي وآخر شمولي كالذي كشف عنه الدكتور عبد الوهاب المسيري تمييزا إجرائيا نافعا بهذا الصدد، لأنه يتيح لنا تجنب إطلاق حكم عام على مفهوم يبدو لأول وهلة واحدا)

ثم ليعلن القبول لهذا الفهم للعلمانية (الجديدة) بوضوح، لا سيما أنه جاء " من مصادر الإسلام" كما يرجع ذلك، إذ يذكر نصا: (ثانيا: العلمانية بصفتها بحثا حرا عن الحقيقة لا قيود فيه على العقل ولا على التجربة والاستقصاء غير ما يفرضه العقل على نفسه من قيود منهجية، ومن احترام لإنسانية الإنسان، العلمانية هذه بصفتها حرية مطلقة للعقل في البحث والنظر والتجربة لا يعترضها من مصادر الإسلام معترض). إذن لا يوجد لهذا المفهوم العلماني من مصادر الإسلام

أي معترض![32]

لماذا نقتبس بتوسع من د.راشد الغنوشي؟ لأسباب ثلاثة أولا أنه من (الإخوان المسلمين) ومازال زعيم حزب إسلامي (اخواني) وفي الحكم، وهو إلى ذلك مفكر إسلامي مستنير كلمته مسموعة فلم يُكفّر أو يُفسّق أو يُتهم عندما قال ذلك بل أصبح كلامه لأنه من (الإخوان المسلمين) جزء من الموسوعة للإخوان المسلمين على الشابكة.[33]

32- في نفس المقال يميز الغنوشي بين مهمة الرسول (ص) التبليغية الرسالية، وتلك السلطانية (أي السياسية) ليقرر بوضوح الفصل بينهما كما فعل قبله د.محمد عمارة وآخرون، وأن السنة ليست كلها ملزمة تأسيسا على القاعدة السابقة، ويشير لمؤسستين مختلفتين هما السياسية وتلك الدينية في التاريخ الاسلامي، ويظهر حياد الدولة بحيث لا تفرض عقيدة معينة، ما أدى لتعدد المذاهب وتعايشها في الدولة الإسلامية مؤكدا على دولة القانون.
33- أنظر نص هذا الخطاب لراشد الغنوشي الذي اقتبسنا منه ما ورد بين قوسين، على ويكيبيديا الاخوان المسلمين على الرابط
http://www.ikhwanwiki.com/index.php?title=%8%84%D8%A5%D8%B3%D9%D8%A7%D988%D8%A7%D9%D9%_85%4%D8%A7%D985%D8%A7%%84%D9%84%D8%B9%D9%%8A%D8%A9%86%D9%D9

نلاحظ أن فهم الغنوشي المتطور للعلمانية (الجزئية المؤمنة) أو (المعتدلة) يرتكز على قواعد هي أن لا وصاية على العقل، وضرورة الالتزام بالقيم، ولا للاستغلال السياسي للدين، مشيرا لاتساع الدولة للمؤمنين وغيرهم، ومن النص (المقدس) يؤخذ روحه ومقاصده، والهدف دولة القانون والمؤسسات والتعددية.

وغنى عن القول تصريح رجب طيب أردوغان رئيس الوزراء التركي آنذاك عندما حط رحالة في القاهرة التي يحكمها محمد مرسي في حينه عام 2011 وقابلته جماهير «الإخوان» بيافطات إعادة «الخلافة»، فقال (أنا مسلم أحكم دولة علمانية) وموضحاً أن العلمانية تقف على مسافة واحدة بين الأديان وكل المواطنين الدينيين واللادينيين. وأكد أن (الدولة العلمانية لا تعنى دولة اللادين، متمنيا وجود دولة مدنية تقوم على احترام جميع الأديان والشرائح في المجتمع

في مصر). وموضحاً أن (العلمانية الحديثة لا تتعارض مع الدين بل يجب عليها أن تتعايش معه.) مؤكّداً أنه (لا تعارض بين الإسلام والعلمانية بمفهومها الحديث)[34].

وكنموذج آخر لعرض الفكرة لنأخذ المفكر الاسلامي والباحث الكبير د.حسن حنفي لنراه يحبذ استخدام مصطلح المدنية (لا مصطلح العلمانية) وفيه يرفض "الدولة الدينية" التي تدعو لها التنظيمات الاسلاموية فيقول أن (الدولة المدنية تقوم على تعددية القوى السياسية بتغير قوى أحزابها وثقافة التفاهم واستمرار منطق الحوار السياسي بينها وتداول السلطة، فلا يكون الحكم لحزب واحد دائم، ولا لسلطة واحدة، دون مراعاة قواعد اللعبة السياسية، وخدمة المصلحة العامة. وقد أثبتت تجارب التاريخ الغربي أن السلطة في الدول هناك قد تطورت من

34- يمكن العودة لمقابلته على قناة العربية صوت وصورة على موقع العربية.

الكنيسة إلى الديمقراطية. وكل ثقافة تتعلم من تاريخها. وأكثر تاريخ تأثيراً في الأزمنة المعاصرة هو التاريخ الغربي الذي يصف تطور الحضارة من الميتافيزيقا إلى العلم. وفي السياسة، من الثيوقراطية إلى الأوليجاركية إلى الديمقراطية.) ليصل إلى استنتاج هام في نهاية مقاله[35] إذ يقول فيه (ليست القضية إذن عقلًا وحرية فقط، بل هي استقلال الوجدان البشري فهماً وسلوكاً. والدين يقوم على الصدق، وتطابق الداخل مع الخارج. ولا توجد أصلاً دولة دينية بل دولة مدنية. الدين كالثقافة والعلم أحد مكوناتها.)

إذن فممفهوم العلمانية سواء أعتبر (مذهباً فكرياً) أو أسلوب في إدارة الدولة أو فهما محددا هو كما هي كافة الأفكار المجتمعية تتغير وتتطور وتفهم من جهات عديدة، وتتغير بتغير الظروف

35- أنظر مقاله المنشور في موقع (نقطة وأول السطر) تحت عنوان:الدين والدولة المدنية، وفي جريدة الاتحاد الإماراتية عدد 3 أكتوبر 2015

والأزمان، فماهي برياضيات -كما قال أردوغان- وإنما علم متجدد لذلك قبله الكثير من الاسلاميين ليس رياء وليس تبعية وليس مجاراة للمجتمعات وإنما بفهم علمي صحيح باعتقادي.

ومن هنا يتضح الفهم العلمي للمفكر العربي من قيادة حركة فتح خالد الحسن (أبو السعيد) الذي قال دون وجل وبقوة، وقبل غيره (أن الإسلام دين علماني)[36] بمعنى إعمال الفكر وحرية الرأي واستخدام العقل، ما نظّر له لاحقاً عمارة والغنوشي وأبوالفتوح وما قاله بنفس عبارة خالد الحسن نصا المفكر الإسلامي جمال البنا.

(ان أسس الدولة العلمانية[37] تقوم على

36- «العلمانية الاسلامية، تعني طريقة في التفكير في أمور العالم والأشياء، بإعمال العقل والبحث والتأمل بأقصى ما تتسع له هذه المصطلحات / دون خرق أو تحريف أو تغيير أو حذف أو إضافة لثابت من ثوابت الدين الإسلامي»- د.أحمد موسى بدوي

37- -بالمفهوم الجزئي (العلمانية الجزئية) كما نعتقد أن المقصود هنا.

أن حق المواطنة هو الأساس في الانتماء، بمعنى أن البشر جميعا يجب ان يتساووا أمام القانون، بغض النظر عن اية فوارق، وبدون وصاية من احد، إلا حكم القانون الذي لا بد ان يساوي بين جميع المواطنين، ويكفل حرياتهم في العقيدة دون محاذير او قيود، وان المصلحة العامة وبالتالي الخاصة، هما أساس التشريع، وان نظام الحكم المدني يستمد مقوماته من دستور يحقق العدل، ويلتزم بميثاق حقوق الانسان وكرامة الفرد، من غير تمييز في العرق، او اللغة او العقيدة او التفريق بين الرجل والمرأة. وكل هذه المطالب التي يدعو لها العلمانيون، ليس فيها ما يخالف في ان يكون الانسان مسلما ملتزما بعقيدته، وينهج نهجا علمانيا)[38]

38- من مقال للكاتب نجم عبدالكريم في صحيفة الشرق الأوسط اللندنية، وما يتفق مع مفهوم المدنية كما يراها د.حسن حنفي كمثال.

العلمانية في فكر وأدبيات حركة فتح

في داخل حركة فتح ومنذ العام 1968 حتى اليوم لم ترد اللفظة بأي معنى من المعاني في أدبيات الحركة الرسمية، وتحديداً في نظامها الداخلي الذي تطور كثيرا أو في تعبئتها الداخلية عبر ما تسميه الحركة (الأدبيات) أو في برامجها السياسية الستة (للمؤتمرات الستة حتى 2009) إلا إن كان فهم «الدولة الديمقراطية على كل فلسطين لكل من فيها من مسلمين ومسيحيين ويهود» يعني العلمانية الكافرة عند أتباع هذه الأفكار القطعية.

ولكن من المفيد البدء بالإشارة هنا الى «ديمقراطية» الحركة-رغم تبنيها المركزية الديمقراطية- ورحابتها حيث أن النظام الداخلي

لحركة فتح يقبل بانتماء أي كان من أي ديانة أو حتى جنسية للحركة بشرط الايمان بمباديء وأهداف الحركة في تحرير فلسطين، فلا تمييز ولاتعصب، لذا ينتمي للحركة من المسلمين والمسيحيين واليهود اليوم الكثير حتى في المجلس الثوري لحركة فتح.

كما أن خلع رداء الحزبية والانتماءات الأيديولوجية السابقة لأي منتمي للحركة وبشكل فردي، كان ومازال شرطا، فالحزبية من حيث هي تعصب تنظيمي أعمى سواء للفكرة أو الحزب أو للقائد شيء مقيت استبدلته الحركة بالتعبير عن الولاء لفلسطين لا للتنظيم، كما أتاحت مساحة رحبة للحوار والتلاقح والتصارع بين التيارات التي عجت بها الحركة في مرحلة زخمة من المراحل حيث تصارع الماركسي والماوي والتروتسكي والإسلامي والقومي دون إرهاب أو تخويف او حدود للتفكير او حواجز ما ميز الحركة، ولا

ننكر أنه نشأ على هامش هذه التيارات العديد من النباتات المتسلقة والعفن وثلة من الانتهازيين.

يتم الإشارة دوما لما ذكر أكثر من مرة في كتاب القائد الفتحوي صلاح خلف (أبو اياد) حول العلمانية والتي أظهرها الكاتب الفرنسي (إريك رولو) مؤلف الكتاب عن حياة (أبوإياد) ضمن سلسلة مقابلات اجراها معه في العام 1978تحت عنوان (فلسطيني بلا هوية)، ورغم أن صلاح خلف لم ينظّر داخل الحركة ولا خارجها للمفهوم لأنه في تلك الفترة كان مفهوما إشكاليا وحمّال أوجه،[39] الا أنه مما ورد ورد في الكتاب التالي: (نحن بصفتنا قادة الحركة الفلسطينية، لسنا معارضين من حيث المبدأ للحدود المفتوحة. فنحن لا نزال أوفياء لمثلنا ـ أو لحلمنا وفقا لتعبير

39- لم يخرج الفهم العام حركة فتح للدولة في فلسطين (كلها) أسميتها دولة مدنية أم علمانية أم ديمقراطية عن طرحها منذ العام 1968 والقائل (دولـة ديمقراطية يتعايش فيها الأديان الثلاثة (المسلمون والمسيحيون واليهود) متساوون في الحقوق والواجبات)، وهكذا كان فهم القائد الرحل صلاح خلف (أبوإياد).

ياسر عرفات ـ الذي ينص على توحيد فلسطين في دولة علمانية ديمقراطية تضم اليهود والمسيحيين والمسلمين الذي يضربون بجذورهم في هذه الأرض المشتركة.)

يضيف (والحال هو أن الحدود المفتوحة تقود حتما إلى الحوار ثم إلى التفاهم بهدف قيام مثل هذه التوحيد بحيث يحل بدلا من المواجهة القومية الصراع الطبقي الذي سيواجه بين الجماهير العربية واليهودية من جهة وبين المستغلين والامبرياليين من جهة أخرى: أي بين هذه الجماهير وبين أولئك الذي ولدوا الحقد بين شعبينا قبل أن يقودوهما إلى الحرب. إن العائق الذي يحول دون مثل هذا لتطور لا يقف في معسكرنا. لأن من لا يريد السلام الشامل والنهائي هو حكومة «إسرائيل». كما أن من يخشى الحدود المفتوحة هم قادتها المتطرفون الذي ينظرون إلى هذه الحدود كتهديد يتهدد

تماسك الدولة الصهيونية وسياستها التوسعية. وعلى العكس من ذلك، فإنهم بتعميقهم الهوة بين شعبينا وبتعهدهم للتوترات، يؤمنون طواعية الإسرائيليين ويغذون خوفهم ويواصلون في الحين نفسه استيطان واستعمار ما يطلق عليه بيغن اسم «يهودا والسامرة»[40]).

ويشار في مواضع اخرى من الكتاب لقوله (أولا عن نفسه ويقينا ان دار العلوم-في القاهرة- لم تكن تستجيب للمثال العلماني الذي ارتضيته لنفسي لأنها كانت وثيقة الصلة بالأزهر).ويقول أيضاً: (صحيح إنني كنت حفيد شيخ، وأن أبي

40- مازال الاسرائيليون، والمتطرفون خاصة في إطار تزوير التاريخ إطلاق مصطلح ''يهودا والسامرة'' على الضفة الغربية في فلسطين، للايهام بارتباطه بمرويات التوراة غير المثبته علميا ولا تاريخيا، ورغم أن اتفاق أوسلو عام 1994 يعرف المنطقة بأراضي السلطة الفلسطينية أو ''المناطق''،إلا أن من نواقض الاتفاق الكثيرة إثارة البُعد التاريخي والعقدي بإعطائه جرعة سياسية وقانونية من قبل اليمين الاسرائيلي بإعادة ترويج المصطلح والدعوة للدولة اليهودية القومية العنصرية كما يصر عليها (نتنياهو) بشدة منذ العام 2013

مسلم لا يقطع فريضة إلا أن ميولي الطبيعية كانت تحملني على أن أنضم إلى ركب القومية العلمانية).

ورغم ذلك يمكننا القول بوضوح أن فهم صلاح خلف هذا–على فرضية أن (أريك رولو) كان يتعامل مع النقل بنفس عبارات صلاح خلف– لم يخرج عن الفهم العام لحركة فتح المتعلق بالدولة في فلسطين سواء أسميتها دولة مدنية أم علمانية أم ديمقراطية أم فتحوية، وهي التي طرحتها الحركة من قبل فاروق القدومي أبواللطف وأبوماهر (محمد راتب غنيم) قبل أن يصبح ياسر عرفات الناطق الاعلامي للحركة، طرحتها منذ العام 1968 بصيغة (دولة ديمقراطية يتعايش فيها الأديان الثلاثة (المسلمون والمسيحيون واليهود) متساوون في الحقوق والواجبات)، وهذه الدولة العلمانية (بالصيغة الجزئية أو الايمانية أو المعتدلة بمفاهيم اليوم) بعد 30 عاما من طرحها

فهمها الكثير من المفكرين ومنهم المفكرين الاسلاميين، بل وفهمها بعض «الاخوان المسلمين» ومنهم د.عبدالمنعم أبوالفتوح[41] عام 2009 عندما كان عضوا في قيادة «الاخوان المسلمين» حينما قال أن لا حل للمشكلة الفلسطينية الا بدولة علمانية في فلسطين.[42]

ياسر عرفات عندما سؤل عن ذلك في العام 1969 أتدعون لدولة علمانية؟ قال أنا لا أقول

41- في ندوة له في مؤتمر: جسور السابق «مستقبل مصر علماني أم ديني» بتاريخ 2011/4/23 يقول:(كل القيم الإيجابية للعلمانية توجد بالفعل في الإسلام فإذا ما أضفنا ذلك إلى ما سبق قوله إن خصوصية الحياة الأوربية في العصور الوسيطة هي التي أدت إلى نشأة العلمانية فإن النتيجة التلقائية هي أننا لا نحتاج إلى العلمانية الأوربية إطلاقا في مجتمعاتنا العربية الإسلامية).

42- نقلت «القدس العربي» عن د.ابو الفتوح والذي يشغل منصب عضو مكتب الإرشاد، اعلي سلطة تنفيذية داخل الجماعة، قوله إن موقف الإخوان المسلمين في القضية الفلسطينية هو اننا لسنا ضد اليهود وهدفنا ليس القضاء علي اليهود لا في داخل فلسطين ولا في خارج فلسطين. وأضاف ان المجتمع الدولي يجب ان يعمل علي تكوين دولتين فلسطينية واسرائيلية كحل مؤقت، ثم يمكن بعد ذلك تأسيس دولة علمانية ثنائية القومية يتداول اليهود والمسلمون والمسيحيون علي قيادتها كحل نهائي.

ذلك وإنما ندعوا لدولة ديمقراطية.[43] وأبوعمار إذ تحرج من الاستخدام للمصطلح ففى اعتقادي أنه كان متوافقاً مع فكر حركة فتح الوطنى الديمقراطي الاستقلالي الذي ينهل من نبع الحضارة العربية الإسلامية، ولا يريد أن يخوض بجدال نظري لا سيما وأن (الإخوان المسلمين) كانوا ومازالوا- وفي عديد منهم اليوم- يرفعون سوط الترهيب والتخويف والتشكك والاتهام لكل من يجرؤ أن يتحدث بالعلمانية إلى أن كسر المحرم هذا «الإخوان المسلمين» أنفسهم، بالمتنورين فيهم وكثير خارجهم.

قامت حركة فتح منذ البداية بطرح مفهوم الدولة الديمقراطية في أكثر من مؤتمر ومنها في مؤتمر القاهرة لنصرة الشعوب العربية عام 1969 حيث قال ممثل حركة فتح (نحن نقاتل اليوم في سبيل إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية

43- في لقاء مع ياسر عرفات مع صحيفة (باري ماتش) الفرنسية في 1969/1/11

يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم مسلمين ومسيحيين ويهودا في مجتمع ديمقراطي تقدمي ويمارسون عباداتهم وأعمالهم مثلما يتمتعون بحقوق متساوية) مضيفا (أن ثورتنا الفلسطينية تفتح قلبها وفكرها لكل بني الإنسان الذين يريدون أن يعيشوا في المجتمع الفلسطيني الحر الديمقراطي، وأن يناضلوا في سبيله بصرف النظر عن اللون أو الدين أو العرق)[44]

(بدأت عملية المراجعة السياسية بعيدا عن «تابو» الميثاق الوطني والمبادئ والأهداف بإصدار «فتح» فكرة الدولة الديمقراطية من باريس عام 1969، حيث يعيش أتباع الديانات السماوية الثلاث في دولة ديمقراطية علمانية واحدة. وحمل هذا الإعلان ضمنيا أول اعتراف فلسطيني بوجود

44- كتاب حركة فتح السنوي عام 1969 ص11، وكان المؤتمرالمذكور قد عقد بالقاهرة في الفترة ما بين 25-1969/1/28. وورد مثل ذلك (أي إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية دون تمييز...) في الميثاق الصادر عن المؤتمر الأول للمنظمات الفدائية المنعقد في القاهرة ما بين17-1968/1/20

اليهود في فلسطين) ويضيف أحمد عبد الرحمن الى ما سبق في كتابه (عشت في زمن عرفات) الصادر عام 2013 في طبعته 2 عن دار الحرية (ص 429–430) ليقول (وبالطبع كان أبو عمار وراء إعلان باريس، ورغم رفضه من (اسرائيل) – ما زال الرفض حتى اليوم 2015 – إلا أنه أثار الكثير من الاهتمام الدولي) والى ذلك يشير الكاتب لوثيقة أخرى مثيرة لفاروق القدومي بتلك الفترة تحت عنوان (إقامة السلطة السياسية في الضفة والقطاع) ويعلق أحمد عبد الرحمن موضحا: (أن هذه الوثائق كانت تبدو وكأنها مبادرات شخصية، ولا أحد يجرؤ على تقديمها للرأي العام الفلسطيني...)[45]

تصدى القائد والمفكر العربي الفتحوي عثمان أبوغربية في أحد لقاءاته عام 2013 للمتحاورين من الكوادر داخل الحركة بين تبني

45- أحمد عبدالرحمان، عشت في زمن عرفات، دارالحرية، بيروت، 2013 ط2 ص (429-439)

أو عدم تبني مفهوم «العلمانية» بالأفهام المتعددة، ليحسم النقاش والجدل، بالقول: أن حركة فتح لم تكن يوما علمانية، وإنما هي تنظيم سياسي ثوري تحرري ديمقراطي تقدمي يسعى لقيام دولة مدنية ديمقراطية.

يكتب المفكر العربي من قيادة حركة فتح عثمان أبوغربية دون أدنى إشارة للمصطلح ليقول: (بالمعنى الداخلي لا بد من المساواة في الحقوق والواجبات لجميع المواطنين في إطار الدولة الواحدة، في كل شيء، وبغض النظر عن الانتماء إلى أغلبية أثنية أو مذهبية أو دينية، أو إلى أقلية، لأن المواطنة يجب أن تتجاوز تقسيمات الانتماء الداخلي.)[46]

كما يشار لورود مصطلح العلمانية في محاضرات القائد العروبي الفتحاوي أيضا هاني

46- مقال منشور لعثمان أبوغربية عام 2011 تحت عنوان "نحو ملامح جديدة لواقع إقليمي جديد».

الحسن في لندن وهو يخاطب الغرب بمفهومهم عن العلمانية التي تعني المساواة والديمقراطية مع عدم إهمال دور الدين في الأمة والمجتمع والقيم والناس، وإنما عزل تأثير السلطة الدينية او السياسية في الحكم عن استغلال الدين في فرض الرأي او تبرير السياسات واحترام الأديان والتعددية الفكرية.

ويشار أيضا للدكتورنبيل شعث من قيادة حركة فتح، الذي كتب مقالة في مجلة (شؤون فلسطينية) في عدد أيار/مايو من العام 1971 تحت عنوان (فلسطين الغد) قام بالتنظير فيها للدولة الديمقراطية -تعود الفكرة اليوم مع تعديلات تحت عنوان الدولة الديمقراطية الواحدة- باعتبارها فكرة حركة فتح واعتبرها من زاوية شكل النظام السياسي تشمل كل سكان فلسطين آنذاك عربا ويهود، وكل المنفيين الفلسطينيين موضحا: (ولن تكون دولة ثنائية

القومية أو طائفية[47] بل دولة موحدة علمانية... ولن تسمح بالتمييز طبقا للعرق أوالدين أو اللون...والجميع فلسطينيين في حقوق متساوية دون أي حقوق خاصة أوامتيازات) ويرفض الانغلاق لهذه الدولة أوقيام دولة يهودية، بمعنى أنه جعل من دعوته المبكرة هذه حائطا صلبا ضد العنصرية أوالتميز اليهودي الذي يظهر اليوم عام 2015 تحت دعاوى (الدولة القومية اليهودية)، وقال في مقاله أيضا أن الدولة لن تكون مبنية على أساس الأديان الثلاثة وإنما (ستسمح للناس بممارسة معتقداتهم الشخصية بكل حرية).

ومهما يكن فهذه الآراء الجريئة التي ورد فيها مصطلح «العلمانية»، أو ما يعد عند المفكرين فكرا علمانيا (جزئيا) ليست عيبا ولا حراما، بل وتُعدّ وعيا مسبقا من أصحاب هذه الأفكار المتطورة، كما أوضحنا سابقا ضمن تطور

47- يوضح د.نبيل شعث في دراسته رفض الاقتسام الطائفي للدولة كما هو حاصل في لبنان.

المفهوم حتى لدى تنظيمات أو شخصيات أنِفت من التعامل مع العلمانية في البداية، وفي ذلك نقرر أن من ذكرناهم من قيادة الحركة فكروا واجتهدوا ولم يلزموا احدا باجتهادهم، ومنهم هاني الحسن الذي كان مؤمناً ومتديناً ويؤمن فعلاً بما آمن به كل من الغنوشي والمسيري ود.عبد المنعم أبو الفتوح[48] أي ما يسمى (العلمانية المؤمنة) وهو ما نادى به هاني الحسن كرأي من داخل الحركة.

الزمن الذي كانت فيه العلمانية ضد الكفر أو ضد الدين،[49] كما فُهمت كلها، كانت الدنيا غير

48- صرح د.عبد المنعم أبوالفتوح عندما كان ما يزال عضوا في(قيادة) مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين وذلك عام 2009 أن لا حل في فلسطين إلا بالدولة العلمانية.

49- من المهم الإشارة أن عديد التنظيمات الاسلاموية ترى حتى اليوم أن من واجب (الدولة) عدم الحياد أو تحقيق المساواة أبدا، إذ من واجبها نشر الإسلام على المذهب الذي يتم اختياره، فمثلا ايران تعتبر في دستورها دولة على المذهب (الشيعي الإمامي الجعفري الاثنى عشري) وقائدها حسب نص الدستور هو حامي المذهب وليس الدين ونصير المظلومين) وكذلك الأمر ما كان من دولة أفغانستان (السنية) فترة حكم طالبان، لذا قد يرى الكثيرون أن فكرة المدنية و الديمقراطية، والمساواة مع

الدنيا، فالحرج و (التابو) قد تم كسره، وحصل هذا الكسر في سياق كسر القيود على التفكر والتأمل والعقل في مختلف الأفكار التي جعلها الإخوان المسلمين الذين قدسوا فكرهم واسقطوا (الأخونة) بمحرماتها وقداستها على لا وعي الناس، ما دعى -إلى ما سبق- مفكرا إسلاميا سودانيا كبيرا هو «بابكر كرار» إلى تبني إنشاء (الحزب الاشتراكي الإسلامي) رغم قطعية التعارض عند «الاخوان» بين الاسلامي والاشتراكي، والمرتبط بقطعيات «الإخوان» المناهضة للمفاهيم الخمسة وهي: الوطنية والقومية والاشتراكية والديمقراطية والعلمانية، والتي حينما تحرر منها، أي من هذه الطريقة المغلقة في التفكير – أصبح العقل المسلم والمؤمن المفكر قادر على مناقشة أونقض أو

المسيحي أو صاحب أي ديانة أخرى فكرة ليست اسلامية أصلا، كما يرون في المواطنة للجميع نقضا للذمة، رغم أن هذا المفهوم باللامساوة المستند للذمة قد انتهى عهده، وأسقطه مؤخرا عام 2011 حتى الإخوان المسلمين مستبدلينه بالمواطنة والضريبة كتطور للجزية، الا أنه بقي في فكر السلفيين والكثير في الإخوان المسلمين.

تعديل أوتأصيل الأفكار، ليأخذ منها ما يستقيم مع فهمه للدين في السياق السياسي، ومتغيرات العصر ومقتضيات مقاصد الدين.

في ثنائية فتح والإسلام

لم يتحدث أحد عن حركة فتح والمسيحية أوالمسيحيين، لأنهم يعلمون أن التربية الوطنية السياسية الفتحوية تعتمد المواطنة والانتماء الوطني لا الطائفة أو الدين، وإنما كلّ الحديث الذي يواجه كوادر فتح خاصة من الطلاب يدور على فتح والدين الإسلامي وكأنما مطلوب من كل مسلم يوميا أن يقدم فاتورة دينية أمام مدعي النيابة عن الله في الأرض، في خلط عجيب بين البناء الروحي والتربية السياسية،أو كأنما مطلوب من كل مسلم فتحوي أن يقدم كشف حساب لأصحاب الفتوى من الجهلة المعممين وغير المعممين الذين يطلقون الأحكام والاتهامات جزافا فهذا مسلم وهذا مرتد وذالك كافر لتشتعل آلة الحقد المجنون رصاصا وإلقاء من أعالي البنايات وأرجل مثقوبة ورؤوس مهشمة وصلت لأكثر من 450 جريمة

ضد الإنسانية في قطاع غزة، والقائمون عليها من مدعي الإسلام الذين لا يفقهون للحظة مدى حرمة الدم عند الله سبحانه وتعالى.

حركة فتح والعقل

فتح لا تحتاج للدفاع عن نفسها أبدا أمام الذين يخلطون الزيت بالخل فيجعلون من الدين وقود السياسة، ويجعلون من الحرام والحلال طعام السياسيين ولا يميزون بين العقل والإيمان ولا يستطيعون أن يروا الدين هاديا ومرشدا للفكرة لا متحكما ومتسلطا على العقل، فالله سبحانه وتعالى الذين خلق الخلق ترك لهم حرية الخيار يفعلون ما يشاؤون بمنحة العقل، وأنزل لهم القران هاديا ومرشدا -لمن شاء- واعد لهم جنة ونارا، ولم يوكل عنه أحدا ليكون هاديا ومرشدا نيابة عنه فينزع المنحة من الناس، وهذا ما تدركه فتح وتعمل به.

أو كما يقول الكاتب المغربي قاسم شعيب ”أن الحقيقة التي يغفلها النصيّون هي أن القران

لم يأت بديلا عن العقل بقدر ما جاء هاديا له ومرشدا، فمثل العقل والقرآن[50] كمثل البصر والضياء فلا العين يمكنها أن تبصر دون ضياء، ولا الضياء قادر على أن يجعل الأعمى بصيرا، وهذا يعنى أن العقل والنص يتكاملان من أجل خدمة الإنسان والتخلي عن أحدهما هو تخلي عنهما معا.»[51]

أن رجال ونساء حركة التحرير الوطني الفلسطيني-فتح هم فرسان العقل في الحضارة العربية الإسلامية وأصحاب التربية السياسية التعددية الديمقراطية لا يقيمون

50- يقول د.محمد عمارة أن ''الحركات الإسلامية'' تعاني ''قصورا في التربية السياسية لفقرها فكريا وقلة بضاعتها من صناعته وصنّاعه مضيفا وإنما لانغلاق هذه الحركات عن الفكر السياسي ونظرياته'' ويشير إلى ''تزايد جمود النصوصيين، وتدني جرعة العقلانية لدى العقلانيين'' عندهم. يمكن العودة لموقع بكر أبوبكر في الموضوع www.bakerabubaker.info

51- قاسم شعيب، تحرير العقل الإسلامي، المركز الثقافي العربي، المغرب 2007، ص8

وزنا لاتهامات الرجعية والزندقة والردة والعلمانية (من حيث هي كفر برأيهم) لأن الأفواه ذاتها التي تكيل الشتائم والاتهامات هي ذاتها التي كانت تشتم (الوطنية) و(القومية) و(الديمقراطية) و(الاشتراكية) ثم عندما لمع في رأسها –او رأس بعضها–نور الفهم تبنتها وقبلتها وربما ليس كليا، وربما تكتيكيا –وقبلها المستنيرون جميعا– ريثما تنقلب على هذه المفاهيم– فلم تعد حركة فتح كافرة بعد ذلك.[52]

52- يراجع: د.محمد عابد الجابري، وجهة نظر نحو إعادة بناء الفكر العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، بيروت 1988

حركة فتح في الاشتراكية الدولية

في ظل الفهم السليم لدى حركة فتح للمجتمع المدني وللتعددية الديمقراطية تعاونت الحركة مع منظمات عدة منها منظمة العالم الإسلامي، ومنظمات افريقية وآسيوية وعالمية، وانضمت عضوا في الاجتماعية الديمقراطية (الاشتراكية الدولية)[53] من حيث تحض هذه

53- وكما هي العادة يتم الخلط في وعي الناس بين الشيوعية أو ما تسمي نفسها (الاشتراكية العلمية) وبين (الاجتماعية الديمقراطية) رغم الفارق الكبير، إذ جنحت الاجتماعية (الاشتراكية) الديمقراطية للحفاظ على حقوق الإنسان والتعددية والتقدمية والديمقراطية والمجتمع المدني، فيما رفضت تلك أي (الاشتراكية العلمية=الشيوعية) هذه المفاهيم وكرست الحزب الواحد والاستبداد، ورفضت التعددية وفي سياق تأصيلها الفكري فيما يسمى المادية الديالكتيكية خرجت من المربع الروحاني إلى مربع الإنكار (الإلحاد) باعتبار أن المادة أسبق على العقل، والتاريخ شاهد على انهيار هذه النظرية ودولها منذ العام 1990 حيث انتهى المعسكر الشرقي الذي كان ما يسمى الاتحاد السوفيتي الشيوعي مهيمنا عليه..

المنظمة على العدالة وحقوق الإنسان والحرية والمواطنة والمجتمع المدني، نأخذ منها مساحة الرحابة التي نستمدها من عمق حضارتنا العربية الإسلامية ونتوافق على قاعدة الإنسانية والكونية.

فتح وعلمانية الإسلام

أن كانت حركة فتح حركة علمانية، مال لم تسجله في أدبياتها الرسمية أبدا، فهي علمانية الدين الإسلامي كما قال المفكر العربي الفتحوي الكبير خالد الحسن، بمعنى تلك الأمة التي احترمت الفكر والعقل والعلم وفضاء الحرية والتعددية في ظل الإيمان، ورفضت الظلامية والتقديس للأشخاص وأفكارهم، كما رفضت التكفير.

لم تقل حركة فتح يوما إنها ذات فكرانية (=أيديولوجية) مطلقا، لا إسلاموية ولا شيوعية ولا قومية ولا غيرها، ولم تقل أنها تشكل حزبا سلطويا، يعشق الكراسي ويتغنى بالألقاب، كما لم تتبنى طرحا مجتمعيا بعيد عن حضارتنا وثقافتنا رغم الكثير مما يقال بهذا الشأن، وإنما قالت بالثورية كما قالت بالديمقراطية –

وكفى- الديمقراطية التي خشيها الإسلامويون (المتحزبون) وكفروها ثم تبنوها، وقالت بالمجتمع المدني الذي خشية الإسلامويون وكفروه ثم تبنوه، وقالت بحقوق الإنسان وحقوق المرأة التي رفضها الإسلامويون باعتبارها نتاج الغرب الكافر ثم تبناها بعضهم إلى الدرجة التي طالبوا فيها بقيام دولة علمانية في فلسطين كما قال عضو قيادة الإخوان المسلمين في مصر د.عبد المنعم أبو الفتوح.

بإمكاننا القول في ذيل هذا البند أن المفهوم، مفهوم "العلمانية" له من التعريفات السلبية الكثير، وفيه من البذور الايجابية الكثير، ما دعى المفكرين المسلمين المتنورين لتبنيه كما يفهمونه أو كما تطور أو كما طوروه، فسقطت محرمات (الإخوان المسلمين) وإرهابهم الفكري أولاً،[54] وما

54- التيارات السلفية "النجدية الوهابية" في غالبها تكفر العلمانية، كما تكفر الديمقراطية على اعتبار أنها فكر وضعي وضد الشريعة والله فقط هو الشارع، وكذلك الأمر مع التيارات المتطرفة التي تجتاح عالمنا الإسلامي والعربي حيث أن التكفير هذا يجر إلى القتل عندها.

دلل على قدرة وحيوية قديمة متجددة داخل حركة فتح للنقاش والجدل في كل المفاهيم السابقة إلى الدرجة التي قال فيها البعض من قيادة الحركة بعلاقة الاقتران بين الإيمان مع الفكرة العقلية، ما لحقهم به مفكرون إسلاميون آخرون ممن ذكرنا.

المادة 5 من مشروع الدستور الفلسطيني بالتعديل للعام 2003 تقول: (اللغة العربية هي اللغة الرسمية والإسلام هو الدين الرسمي في فلسطين.[55] وللمسيحية ولسائر الرسالات السماوية قدسيتها واحترامها. ويكفل الدستور للمواطنين أي كانت عقيدتهم الدينية، المساواة في الحقوق والواجبات.) وتقول المادة 7: (مبادئ الشريعة الإسلامية مصدر رئيسي للتشريع. ولأتباع الرسالات السماوية، تنظيم أحوالهم الشخصية وشؤونهم الدينية وفقا لشرائِعهم ومللهم الدينية في إطار القانون، وبما يحفظ وحدة الشعب

55- عدلت المادة مؤخرا 2015 في لجنة تعديل الدستور لتكون «هو دين الأغلبية في فلسطين».

الفلسطيني واستقلاله).

خلاصة القول حركة فتح التي احتضنت الحوارات الفكرية بشتى أصنافها من اليسارإلى اليمين، تدعو بوضوح اليوم ليس عام 1968 وليس عام 1973 وإنما عام 2015 تدعو، ومن خلال دستور دولة فلسطين إلى دولة ديمقراطية مدنية، الإسلام دينها واحترام كل الأديان والشريعة من التشريع فيها، ولنسترجع المادة 6 في استراتيجية الحركة الواردة ضمن برنامجها السياسي عام 2009ص16 والتي تقول كالتالي:

((فلسطين هي الأرض المقدسة للأديان السماوية، والإسلام هو دين الأغلبية من أبناء الشعب الفلسطيني، وهو الدين الرسمي للسلطة والدولة، وللمسيحية نفس القدسية والاحترام، ولا تسمح حركة فتح بأي تمييز بين الفلسطينيين على أساس دينهم وعقيدتهم أو مقدار إيمانهم، ونحترم حرية العبادة للجميع، بما فيهم اليهود،

وقد انطلقت حركتنا تدعو لدولة ديمقراطية لا طائفية للمسلمين والمسيحيين واليهود.

تستلهم الحركة القيم الروحية والدينية من الإسلام والأديان السماوية وهي تنتمي فكريا الى الثقافة العربية الإسلامية لأنها حركة شعب يحافظ على القيم الأخلاقية والروحية، ويؤمن بالله ورسله وكتبه، ولكن فتح حركة لا تقبل الطائفية، وترفض التعصب والتطرف وترى أن الأديان السماوية تحض على الإخاء والتسامح والتعايش بين الشعوب.))

عندما يكتب عثمان أبوغربية عن فكرة البناء الوطني بما هو المقصود داخل الدولة القادمة، حديثا (أي عام 2013)، لا يبتسر المصطلحات ولا يتوه بينها، ولا يستخدم المصطلح الإشكالي «العلمانية» لعلمه بتعدد الأفهام، ولأنه يريد أن تستمر حركة فتح تنظيم العقل والعمل والإبداع لا التنظير الفارغ، فيتوجه مباشرة لعرض المبادئ

وليسمها كلّ شخص ما يريد أن يسميها، فإنه يراها - أي الدولة والبناء الوطني- تنطلق من: (من فكرة العدالة والحرية معا،[56] واستنادا لهذا البرنامج تصنع فتح رؤيتها وبرامجها التفصيلية في مجالات ومحاور الحياة المجتمعية والسياسية والاقتصادية وغيرها. وعليه: من الأساسي استمرار العمل على ضبط انبثاق برنامج البناء الوطني من منطلقات فتح الأساسية والتي تقوم على الأهداف والمبادئ الكبرى وهي: العدالة، والحرية، والتقدم، والسلام القائم على العدل في إطار الترابط الموضوعية والذاتية في نظام سياسي اجتماعي اقتصادي) مضيفا (وكذلك تحقيق القيم المعاصرة في المواطنة حرية التعبير والديمقراطية وحقوق الإنسان والكرامة والعدالة الاجتماعية وتحقيق التكافل الاجتماعي والإلزامي والطوعي، وبناء

56- يقول الشيخ عبدالرحمان الكواكبي (1855-1902م) (دعونا ندبر حياتنا الدنيا و نجعل الأديان تحكم في الأخرى فقط دعونا نجتمع على كلمات سواء إلا و هي فلتحيى الأمة...فليحيى الوطن...فلنحيي طلقاء أعزاء)

الإنسان.)[57] وماذا نريد أكثر من ذلك كمواطنين ؟

57- ورقة لعثمان أبوغربية عام 2013 تحت عنوان (محددات عامة لبرنامج استقطابي تعبوي في إطـار ثوابت الحركة وبرامجها ومفاهيمها الأساسية)

مؤمنون لا ملحدون

اتهمت فتح في البدايات[58] ولسنوات طويلة باليمينية والتدين؟! والآن تتعرض الحركة بأبنائها المؤمنين الموحدين -على مختلف أديانهم أو مذاهبهم- لاتهامات باطلة بل وسخيفة بالكفر أو الإلحاد أو الردة؟! أو الضلال، وكأن الإيمان وصفة سحرية معلبة يمتلكها فقط مجموعة من السحرة أتباع هذا التنظيم أو ذاك، أو هذا القائد أوذلك، ممن جعلوا الإسلام العظيم الذي نزل على البشرية جمعاء محتكرا لهم كفئة قليلة مهما تضخمت دون غيرها.

إن وصم الآخرين بالإيمان أو الإسلام أو الردة أو الكفر أصبح علكة يلوكها الخوارج عن

58- نشأت الفكرة التحررية الاستقلالية الوطنية للحركة بعد النكبة وتبلورت عام 1957 ثم انطلقت عام 1965، وهي منذ ذاك التاريخ مازالت تصد اتهامات وسهام المخرصين.

الأمة والشعب ويمطون بها شفاههم منزهين أنفسهم عن الخطأ، رامين الآخرين بأشنع النعوت و الصفات ممهورة بتوقيعهم على صكوك للتهمة أو الغفران، ألحقوها بمجموعة من جرائم الحرب الشنيعة.

إن حجم الإيمان ومساحته في القلب من اختصاص الله جل جلاله لأن أكرمكم عند الله -وليس عند الناس- أتقاكم، فما بين الناس المعاملة والقانون والدستور واحترام الحقوق لا البحث في العقول والصدور.

وفي المجتمع الديمقراطي المدني من حق الجميع أن يعيش ويعبر بغض النظر عن فكره أو دينه أو مذهبه بشكل تام.

وطنيون ديمقراطيون

عندما سئل ياسر عرفات و هو الناطق الرسمي لحركة فتح أجاب إننا ديمقراطيون وثوريون و رفض أي صفة غير ذلك عن حركة فتح، وهي كذلك ولا زالت.

إن حركة فتح التي ضمت كافة أطياف الفكر الإنساني اشترطت و ما زالت (نزع رداء الحزبية) على عتبة بيت حركة فتح، و اشترطت تركيزوتكريس وتخصيص وأولوية كل الجهد من أجل تحرير فلسطين، كل فلسطين.

فتح وأثواب النضال

من الكفاح المسلح كطريق حتمي ووحيد إلى كافة أشكال النضال، استطاعت حركة فتح أن تغير من فكرها السياسي استنادا لفهم واعي لتقاطعات المصالح الاقليمية والدولية و لقراءة واعية لمتغيرات العالم.

من المطالبة بفلسطين كاملة إلى المطالبة (المرحلية) بأي جزء من الوطن وصولا (للثوابت) التي استقرت كدولة فلسطينية بعاصمتها القدس على حدود 1967 وذلك منذ إعلان الاستقلال الفلسطيني في الجزائر عام 1988 استطاعت فتح ان تلبس ثوب العسكر و الثوب السياسي و ثوب المناضل بالإعلام و المناضل المجتمعي، فبنت وعمرت وأنجزت مع الدخول للوطن عام 1994.

أطلقت فتح القدرة على اكتشاف المخارج

ضمن معادلة الثورة فكانت العاصفة ثوب العنف الثوري لحركة فتح منذ الانطلاقة، ثم أثواب أخرى مثلت اجتهادات ومبادرات تحكم عليها انجازاتها مثل (صقور الفتح) و(الفهد الأسود) ثم (كتائب شهداء الأقصى)، لتمثل في حركة فتح أثوابا تلبسها جماعات في الحركة و تقدم خطوات إلى الأمام ثم لا تلبث أن تعود إلى حضن الحركة الأم التي تضم (المبادرات) وتطلق الأحداث وترسم الحقيقة واقعا حيا يسعى.

البندقية وغصن الزيتون

البندقية وغصن الزيتون شعار أطلق كتائب شهداء الأقصى يدا ثورية مصاحبة لانتفاضة الشعب الفلسطيني المجيدة منذ وطأت أقدام شارون المسجد الأقصى عام 2000، وفي رد ثوري على العرض غير المقبول الذي قُدّم للزعيم ياسر عرفات في (كامب ديفد) الثانية ورفضه بكل إباء وكبرياء وضياء، لأنه لا تفريط بالثوابت (الأهداف) الوطنية في حركة فتح، تلك الثوابت التي أقرتها (م.ت.ف)، هكذا علمنا عرفات صاحب هذه المقولة مقولة البندقية والغصن منذ العام 1974، حيا وشهيدا.

فتح الانخراط في البحث عن حل عادل وشامل للقضية،لا تستجدي الحل، ولا تلقي البندقية فهي تساند حملة المشاعل والبنادق لأنها

من علم العالم معنى الشعلة والبندقية المسيّسة، فكانت الرؤية الفتحوية الثابتة تؤكد المرة تلو الأخرى أن النصر هي بوابته وأن الثبات هي عنوانه لأنها إرادة الناس وإرادة الشعب حيث العناق يمثل كافة أشكال الكفاح، كل حسب مرحلته وعوامله التي تقدرها الحركة.

إن فتح التي جعلت القرار الفلسطيني المستقل شعارا خالدا فتحت للوحدة الوطنية بابا عريضا ضمن إطار المنظمة، و أشركت الأمة في واجبها–وان بالحد الأدنى –لدعم الشعب الفلسطيني والمقاومة، ولم تنسً العامل الخارجي و ضرورة الدعم العالمي خاصة بعد تراجع المعادلة تراجعا حادا أولا منذ خروج مصر من المعادلة العسكرية و ثانيا منذ خروج الاتحاد السوفييتي من معادلة القوى العظمى لتصبح الساحة مفتوحة لقوة العولمة الوحيدة:الولايات المتحدة الأمريكية.

المجتمع الفلسطيني والتنظيم المتوازن

إن الشعب الفلسطيني شعب بسيط مرح غير معقد رغم المآسي التي تلاحقه ولا تمل من التسلط عليه، وهو شعب يحب الفرح رغم الوديان السحيقة التي تفصله عنه ورغم تكاثر الجراح، وشعب يفهم اللمسة الحانية المحبة ويميزها بسهولة، ويعي أهمية البسمة والوجه الطلق ولحظات السعادة لافتقاده الكثير من الأحبة شهداء وجرحى وأسرى، لذلك فهو شعب وسطي لا إفراط ولا تفريط، لا تشدد ولا تهاون لديه.

وكذلك كانت فتح وسطية المجتمع أو واقعية الفكر والأداة، وسطية أو واقعية الفهم والوعي الجمعي الشعبي، جمعت الأطياف الشعبية والمختلفين في نطاق السعي المشترك

للنضال بأشكال متعددة ضمن هدف التحرير والعودة.

إن فتح فكر الوطنية و الواقعية في الحضارة العربية الإسلامية،المتصالحة مع الحضارات والأفكار الإنسانية، ولأنها كذلك فهي لا تقبل التزمت والتشدد ولا تقبل خلط الديني بالسياسي الحزبي، ولا التنظيمي الثوري بالدعوي.

ولا تقبل حركتنا تقسيم الشعب إلى مؤمن وغير مؤمن، إلى وطني وغير وطني، إلى أحباب ألله وأعداء الله، إلى أناس مستقيمين وآخرين معوجين، فالكل فلسطيني والكل وطني وذاك هو الأصل والكل يسعى لتحقيق صيغة معادلة الحق والنضال فلا تشدد ولا تطرف ولا تهاون ولا إسفاف.

إن فتح المجتمع الوسطي المعتدل العقلاني في ظل تنظيمات الفكرانية (الايديولوجية

المتعصبة) صعب عليها كثيرا أن نتنافس المنظرين المؤدلجين كلاميا، ولكنها كانت دوما تنافسهم في الشارع في العمل في خدمة الشعب كل الشعب وفي استلهام متطلبات الجماهير وقراءة وعيهم وطموحاتهم الكبيرة و الصغيرة فلم تهمل السعي للوصول لكافة فئات الشعب من نجارين وحدادين وعمال وأطباء ومعلمين ومرأة وطلاب وأطفال وعلماء وإعلاميين وفنانين، دون تمييز لمن هو منتمي لحركة فتح أو غير المنتمي لها في تلمس الحاجات وبلوغ المراد.

إن فتح الواقعية السياسية مشيئة الجماهير، فمن انبثق من المحيط الزاخر محيط حضارتنا العربية الناهضة والمتقاطعة مع أفكار التحرر والتقدم والاجتماعية الديمقراطية في العالم، ومن نشأ في محيط الجماهير لا يمكن إلا أن يكون سمة من سمات الجماهير، وصفة من صفاتها وتجلي من تجلياتها.

خاتمة

أن حركة فتح حركة حيوية متفاعلة لا تجمد عند فكرة أو رأي أو موقف، ولا تتحيز لقديم أو تنفصل عن جديد، ولا تغالي أو تتطرف في النظرة، كما لا تتهاون أو تتساهل فيها، ما يجعلها قادرة على تحقيق التطور في الفهم والتطبيق والتواصل والمشاركة مع كل فئات الشعب، لأنها حركة ثورية وطنية إنسانية فلسطينية، آمنت بالله تعالى ومنطق استخلافه للناس، فكان الشعب بالنسبة لها وما زال المحرك والمولد والمعين الذي لا ينضب، منه تستمد الأفكار المتجددة والمتعددة والابتكارية، ومنه تطور ذاتها، ومنه تغتسل وتلبس أثوابا حديثة، فتنتصر لإرادة الشعب، وتعبر عن احتياجات وتطلعات الجماهير والأمة.

إن أبناء حركة فتح هم فرسان العقل في حضارتنا وثقافتنا العربية الإسلامية الرحبة والمنفتحة وبالإثراءات المسيحية الشرقية من أهلنا، وبالانفتاح على تجارب الشعوب.

كما إن فكرنا وثقافتنا ذات البعد الأصيل والمتجذّر من جهة مع مكونات الأمة من دين ولغة وتاريخ مشترك وتفاعل مكاني / زماني، وتطلعات لا يعني الانغلاق أو الإقصاء للآخر، وإنما التمازج والتبادل الحضاري في سياق الانفتاح والاستفادة لا الصراع بمنطق المعسكرين أو الفسطاطين الإقصائي، حيث أن المحتل هو التناقض الرئيسي لنا فكريا وحضاريا ونضاليا.

والله الموفق، وأنها لثورة حتى النصر

بكر أبوبكر

بكر أبوبكر كاتب ومفكر عربي
إسلامي، عضو المجلس الثوري
لحركة فتح.

www.bakerabubaker.info

فهرس المحتويات